سرقة توت عنخ آمون

رواية

د. نبيل راغب

الناشر
ML
ميدلايت المحدودة

الناشـــر
شركـة ميـدلايت المحـدودة
الجيزة : ٦ ش جزيزة العرب ـ المهندسين
ت : ٣٤٩٨١٦٢

(١)

أخيرا حلت ساعة الصفر لنقل الصناديق التى تحتوى على كنوز الملك توت عنخ آمون من مقرها الدائم بالمتحف المصرى بالقاهرة إلى مطار القاهرة الدولى حيث الطائرة المصرية الرابضة لنقلها إلى باريس حيث تقرر عرضها هناك طبقا لاتفاق مسبق بين الحكومة المصرية والحكومة الفرنسية ٠

كانت الطوارىء قد أعلنت منذ الفجر فى ميدان التحرير والمنطقة المحيطة بالمتحف المصرى لنقل الكنوز فى سيارات خاصة إلى المطار قبل ازدحام حركة المرور فى الشوارع ٠ وكانت عاصفة ترابية قد غطت ميدان التحرير مما ضاعف من توتر القائمين على مهمة النقل الخطيرة ٠

كانت الشركة الفرنسية ذات الخبرة الدولية فى نقل الآثار قد انتهت من عملية التغليف داخل الصناديق الخشبية المصفحة بالرصاص ٠ وفى داخل الصناديق استوت التوابيت والأقنعة والصولجانات

وكرسى العرش المصنوع من الخشب المحفور المكسو بالذهب ، والمزخرف بمختلف الألوان من القاشانى والزجاج والأحجار والفضة ، وموطىء للأقدام من الخشب المغطى بالجص المذهب والزجاج الأزرق ، مثل عليه أسرى ، موثقون ومطروحون أرضا وقد وطأهم الملك بقدميه ، وكرسى من الخشب له ظهر بديع الحفر · وقد صنع قرص الشمس والمسامير والزوايا ، من الذهب ، أما مخالب الأسد التى تنتهى بها الأرجل فمن العاج ، وصندوق كبير من الخشب الأحمر ، مزين بقبضات مذهبة ، ومطعم بالأبنوس والعاج ، وهو مجهز بأربعة قضبان غير ثابتة تنزلق فى حلقات مثبتة فى أسفله ، ليمكن حمله بواسطتها ، وأربع أوان كبيرة من المرمر للدهون العطرية ، ومقصورة من الخشب ، المكسو بصفائح الذهب ، وتمثال جنازى صغير من الخشب الأسمر للملك ، وثعبان مقدس من الخشب المذهب ، وسرير من الأبنوس ، وآنية من القاشانى الأزرق القاتم ، والأحمر والأزرق الذى اخضر بفعل الزمن ، وخواتم من الذهب واللازورد ، وسفن للشمس من الذهب ، وصناديق جميلة من العاج والخشب الأحمر المطعم بالزجاج ، وتماثيل بالحجم الطبيعى للملك توت عنخ آمون ، ومركبتان من الخشب المغطى بجص مذهب ومزين برسوم بارزة ، وأربعة سروج لجياد

المركبتين ، وصقران من الخشب المذهب ، كلاهما متوج بقرص الشمس ، وبوق حربى من البرونز المزخرف بالذهب ، وتمائم على شكل ثلاثة رؤوس لحيات ، اثنتان من الخشب وواحدة من العقيق الأحمر ، عصى معقفة تنتهى كل منها بأسيرين موثوقين معا ، وهى مصنوعة من العاج أو القاشانى الأزرق أو مكسوة بالذهب ، والأسير الزنجى من الأبنوس ، أما الآسيوى فمن العاج ، وسراج من المرمر الشفاف ذو ثلاثة أوعية ، ومروحة للحفلات ، لها مقبض طويل مكسو بالذهب وكانت مجهزة بريش النعام ، والتابوت الداخلى الذى كانت فيه مومياء توت عنخ آمون ٠ وقد تركت المومياء فى مكانها بالأقصر ٠ والتابوت مصنوع من ذهب سميك على هيئة إنسان ، والملك ممثل على هيئة أوزيريس ، وقد ضم ذراعيه متقاطعتين إلى صدره ، وقبض بإحدى يديه على الصولجان ، وبالأخرى على السوط ٠ وقد ازدانت جبهته بالعقاب والصل ، وتحلى جيده بعقد يتألف من صفين من أقراص رقيقة ، معظمها من الذهب الأحمر والأصفر ، وبعضها من القاشانى الأزرق ٠ وقد أحاط بجسمه معبودا الوجهين القبلى والبحرى ، وهما عقاب وطائر له رأس صل ، وكلاهما ناشر جناحيه المصوغين من صفائح الذهب ومن الأحجار والزجاج المطعمة فى

أسلاك من الذهب . وفى أسفل ذلك أحاطت الآلهتان إيزيس ونفتيس ساقى الملك بأجنحتهما المنشورة .

كما تحتوى الكنوز المسافرة بعد ساعات معدودة إلى باريس على قناع من الذهب الخالص ، كان يغطى رأس مومياء توت عنخ آمون . والرأس مغطى بقلنسوة ملكية مزركشة بشرائط من عجينة الزجاج الزرقاء ، ويعلوها العقاب والصل ، شعار الملوك ، والحاجبان والجفون مرصعة باللازورد ، وعلى الصدر عقد كبير مرصع بالزجاج والأحجار ، ينتهى طرفاه برأسى صقر بديع الصنع .

وكذلك خناجر من الذهب لها مقابض بديعة الزخرف ، وذات نصل من حديد لا يصدأ ، وحلى للصدر من الذهب مرصعة باللازورد والزجاج ، وأساور وخواتم من الذهب محلاة بفصوص من الفيروز وغير ذلك من الأحجار الكريمة ، وتمائم على شكل رأس ثعبان من العقيق والذهب ، وقلائد من الذهب ، مطعمة بعجينة الزجاج مختلفة الألوان ، وتاج ملكى من الذهب وجد على رأس المومياء ، مزين بورد من الذهب ومرصع بالعقيق . وعلى موضع الجبهة الشعار الملكى : العقاب والصل ، وأقراط من الذهب والعقيق والزجاج ، وأربعة رؤوس من المرمر بديعة الصنع ، تمثل الملك ، وتمثال من الخشب للملك

المتوفى ، ممددا على نعش ، ونموذج لإحدى السفن التى كان الملك يستخدمها فى اجتيازه العالم السفلى ، وتابوت دقيق الحجم من الذهب الخالص ، على شكل الملك المتوفى ، مطعم بالزجاج والأحجار الكريمة ، وتماثيل كبيرة وصغيرة من الخشب المذهب ، وصناديق ملابس من الخشب الملون ، وأسرة من الخشب المذهب ، وسكاكين من البرونز لتقطيع اللحم ، وسهام من البرونز على شكل رماح ، وأربع مقاصير وجدت متداخلة بعضها فى بعض ومحتوية على التابوت الحجرى ، وهى مصنوعة من الخشب المغطى بالجص المذهب ، وعربة خفيفة من الخشب ، بعضها مذهب ، ولايزال يرى على العجلات بقايا الإطارات الجلدية ، بالاضافة إلى توابع متنوعة كالسروج والغمامات والمناخس ٠

كل هذا وغيره سيطير بعد ساعات معدودة إلى باريس بعد أن قامت الشركة الفرنسية بتغليفه بشرائح الإسفنج ذات الكثافة المختلفة حول طبقة معينة من الجوخ الناعم التى تأخذ شكل الأثر داخل صندوقه الرصاصى ٠ وكانت الصناديق كلها معدة للنقل داخل عربات مصفحة إلى المطار ٠ وبالفعل شرع الخبراء الفرنسيون والمصريون فى تحريكها على عجلات مطاطية حتى موقع الروافع العملاقة التى هبطت بها

حتى الطـابق الأرضى حيث البوابة الداخليـة التى انتظمت أمامها العربات المصفحة فى طابـور مهيب فى عتمة الفجر الذى لم يفصـــح بعـد عن خيوطه النورانية تحت وطأة الزوبعة الترابية التى لاتزال تلف ميـــدان التحـرير وحديقة المتحف بغلالتها الداكنـــة ٠

كانت ممرات المتحف قد اضيئت كلها فبـدت وجوه التماثيل فى القاعات والممرات التى مرت بها الصناديق وكأنها حزينة أو غاضبة لخروج الملك من مقره ، الملك الذى اعتاد أن يأتيه الناس من كل أطراف الأرض قد اضطر أخيرا للرحيل إلى بـلاد الغربة كى يقابل الناس هنـاك ٠ كذلك استطاعت الغلالة الترابية الالتفاف حول المصابيح وكأن الطبيعة تشارك التماثيل حزنها وغضبها ٠

فى أحد الأركان القريبة من البوابة الداخلية وقف وفد خبراء الآثار المكون من الدكاترة سالم ورشـاد وعلم الدين يشرفون على موكب الصناديق الصامت فى خروجه إلى العربات المصفحة ٠ قطع الدكتور سالم حبال الصمت الممتدة بينه وبين رشاد وعلم الدين :

– يعـز علىّ أن ينتقل الملك توت بنفســه كى يكون فرجة الغرباء فى غير أرضه !

أجابه الدكتور رشاد بلهجة متحفظة :

ـ إنه اتفـــاق بين الحكومة المصرية والحكومة الفرنسية ولابد من تنفيذه !

علق الدكتور علم الدين بنظرات متعاطفة تبادلها مع سالم :

ـ أعلم استحالة التراجع فى الاتفاقيات الدولية .. لكننا لابد أن نواصل إصرارنا على منع عرض آثارنا وكنـوزنا بالخـارج .. من يرغب فى مشاهدتها ، فأحضـان مصر مفتوحة له .. كذلك ما ذنب الزوار والســياح والدارسـين الذين يأتون عبر القـارات والمحيطات لرؤية الملك توت فيجدونه وقد طار خارج البلاد كى يشاهده غيرهم ؟ !

أضاف الدكتور سالم :

ـ بالإضافة إلى أن هـذا الاتجـــاه يؤثر على السياحة .. فكنوز الملك توت تشكل جذبا لا يقـاوم لكل ابناء العالم المتحضر .. وبالتالى فإن ما نكسبه من عرضه بالخارج يمكن أن نخسر أضعافه سياحيا

عندما يرفض عشـــاق الملك المجىء إلى مصر فى غيـابه !

توالت الصناديق فى خروجها من المتحف لتستوى داخل العربات المصفحة بحضـور مسـئولى الشركة الفرنسية وخـبراء الآثار المصريين ورجـال الأمـن بقيـادة العميد عز الدين قائد مباحث الآثار ومعـه العقداء نبيه وتوفيق ونصر الذين بدا عليهم التوتر والقلق برغم خبرتهم فى مصاحبة كنوز الملك توت فى رحلات سابقة إلى عواصم أبعد كثيرا من باريس ٠ وقـد ظن خـبراء الآثار والمسئولون الفرنسيون أن حركات رجال الأمن القلقة وكلماتهم الهامسة كانت نتيجة لخطورة الرحلة أو للزوبعة الترابية التى حجبت طلائع الفجر حتى تلك اللحظة ٠ لكن السبب الحقيقى كان يكمن فى الإشـارات العاجـلة التى كان العميد عز الدين يتلقاها من حين لآخر ويبلغ بها رجاله ، والتى جعلته يصدر أوامره فى اللحظات الأخـيرة بمضاعفة عدد رجال الأمن المصاحبين للكنوز ، بل وكان على وشك أن يطير هو أيضا معهم لولا الأوامر الصادرة إليه بالتزام مكتبه فى القاهرة حتى وصول الطائرة بسلام إلى باريس ٠

فى اللحظات الأخيرة من نقل الصناديق الرصاصية

إلى العربات المصفحة جاءت تحريات الأمن باحتمال وجود عصابة دولية . قد تكون أحد فروع المافيا العالمية التى تسعى إلى الاستيلاء على كنوز العالم التى لا تقدر بمال سواء لقيمتها المادية أو التاريخية ، وقد تكون تابعة لإحدى القوى الغامضة المريبة التى تكن كراهية دفينة لأمجاد الفراعنة ، وتحاول طمسها بقدر الإمكان . وفى الحال ناقش العميد عز الدين الأمر مع رجاله وهو يعلم جيدا أن بعضهم غير مرحب أساسا بفكرة عرض آثارنا بالخارج ، لدرجة أن العقيد نصر اقترح رفع الأمر إلى القيادة العليا لاتخاذ قرار سياسى بشأن هذا الموضوع الخطير ، لكن العميد عز الدين أصر على أن المسئولية أمنية وليست سياسية ، وهم كفيلون بها ، ولا يعقل أن يتقاعسوا عن أداء المهمة لمجرد احتمال وجود عصابة دولية ، فلم يحدث لجهاز الأمن المصرى أن تراجع فى القيام بمهام صعبة وشاقة للغاية سواء فى داخل مصر أو خارجها . وهو جهاز شهدت له أجهزة الأمن فى الدول المتقدمة بالكفاءة والقدرة على مواجهة الأخطار حيثما كانت . وهذه المهمة ليست استثناء من القاعدة ! ونظرا لأن الأخطار المحتملة تبدأ من المطار فقد ضوعفت الحراسة حول الطائرة العملاقة الرابضة هناك ، وأعيد تفتيشها ، واختبار آلاتها . وتغير ميعاد انطلاق الطائرة من الساعة الواحدة

مساء إلى ميعاد سرى لمْ يعلمه سوى رجـال الأمن ومسئولى المطـار وهو السـاعة الخامسة والدقيقة التاسعة مساء · ولن يعدم المسئولون الحجة عندما يتساءل أعضاء الوفد الإعلامى المسافر فى الرحلة عن السبب فى تأخير الطائرة أربع ساعات كاملة ؟ !

مع خيوط الفجر التى اخترقت حجب الغـلالة الترابية تحـرك الموكب المهيب وفى مقدمته سيارات الأمن وقد ربض عليها الجنود المدججون بالسلاح ثم العربات المصفحة الرصاصية الداكنة التى احتـوت الكنوز ، ثم سيارة خبراء الآثار ، فى حـين تناثرت سـيارات مسـئولى الشركة الفرنسية بين العـربات المصفحة .وإلى جوارها · وفى نهاية الموكب سـارت عربة العميد عز الدين ورجاله ·

انقشعت الغلالة الترابية بعض الشىء مع أنوار الفجر فبدت ملامح الموكب واضحة ، وكان العميد عز الدين يتمنى الوصول إلى المطار فى غبش الظلام ، لكن التحرك من المتحف تأخر بعض الشىء وهاهم باعة الصحف واللبن والعمال المنطلقون إلى مصانعهم فى بعض الحافلات يتطلعون فى تساؤل إلى الموكب الغامض العجيب ، فأصـدر العميد أوامره بالإسراع تجنبـا لاحتمالات كثافة المرور بعـد ذلك فى مصر

الجديدة . وبالفعـــل ضاعف الموكب من سرعته ، وخاطر ممض كئيب يلح على وجدان العميد عز الدين والمرئيات خارج نافذة العربة تتوالى أمام عينيه :

ـ نحن كفيلون بالتصدى لأى خطـــر يهـدد الرحلة .. لكن هل هناك ضمان مؤكد مائة فى المائة لسلامة الطائرة ؟! هل هناك طائرة محصنة تمـاما ضـد السـقوط مهما تم اختبارها وتفتيشها ؟! إن الأخطار البشرية تكاد تكون تقليدية ومعروفة .. لكن ماذا عن الأخطـار الطبيعية أو القـدرية التى لا سيطرة للبشر عليها ؟!

●●●

(٢)

فى إحدى الشّقق المفروشة فى أطراف مدينة نصر اجتمع أفراد العصابة الدولية لوضع اللمسات الأخيرة للخطة . لاحظ كيمو وجيمى وسـونيا ونورا توتر زعيمهم سام ، وهو توتر لم يكن ليصـــدر منه فى أحرج المواقف الصعبة مما دفع كيمو إلى التساؤل :

- هـل تنقلات الكابتن جـلال سرية إلى هـذا الحـد ؟!

- حتى الآن لا نعرف له مكانا .. وبالتالى لن أستطيع أن أحل محله فى قيادة الطائرة !

علقت سونيا على كلام سام وهى تدخن سيجارة :

- ستكون المهمة بدونك فى منتهى الصعوبة !

تحسس سام المسدس فى جيبه وهو يقـول :

ـ صحيح ان القناع الذى أرتديه صورة طبق الأصل من وجه الكابتن جلال ٠٠ وجواز سفرى يحمل كل بياناته ٠٠ وقد دخلت به من المطار دون اى شك أو ريبة ٠٠ لكن ماذا يمكن ان يحدث لو لاحظ المسئولون فى المطار أو رجال الأمن فى الطائرة وجود قائدين للطائرة ٠٠ كل منهما صورة طبق الأصل من الآخر ؟ !

قال جيمى لسام وهو ينقر على زجاج المائدة بأصابع عصبية :

ـ لو فشلنا فى السيطرة على طاقم المضيفين والمضيفات ٠٠ فلابد من إلغاء الخطة كلها !

ابتسم سام فى مرارة تجسدت فى تجاعيد قناعه :

ـ بلا جدال ٠٠ ولنا أن نتصور ماذا يمكن ان يحدث لو فوجىء الناس فى المطار أو الطائرة بأن هناك نسختين من طاقم المضيفين ٠٠ هشام ونسخته كيمو ٠٠ وطارق ونسخته جيمى ٠٠ وليلى ونسختها سونيا ٠٠ وعزة ونسختها نورا ٠٠ فقد تقدم فن الأقنعة لدرجة اصبح من الصعب معها التمييز بين الأصل والقناع ! !

خرجت نورا عن صمتها :

– لكننا لا نعرف حتى الآن موعد قيام الطائرة !

أجابها سام بحسم الواثق :

– لن يزيد الأمـر عن نصف يوم بأية حال من الأحوال .. فلا يعقل أن تبيت الكنوز فى الطائرة على أرض المطـار !

تسـاءلت سـونيا وهى تطفىء سيجارتها التى تفاعل دخانها مع القناع فلم تعد تحتملها :

– هل صحيح ما يقال عن لعنة الفراعنة ؟ ! يقولون ...

قاطعها كيمو فى ضيق واضح :

– أعرف هواجسك فى هذا الموضوع ! ! لا أريد ان أسمع مثل هذه الخزعبلات ! ! وإذا كنت تنوين التأثر بهذه الخرافات فلابد من إلغاء الخطة فـورا لأننا لا نستطيع تنفيذها بمضيفة واحدة !

تدخل سام للتهدئة :

ـ لا تنفعل هكذا يا كيمو ٠٠ فالأمر لا يعدو مجرد ثرثرة لشغل الفراغ حتى لحظة البدء ٠٠

نظرت نورا إلى النوافذ المغلقة خلف الستائر المسدلة ، ثم قالت وعيناها تومضان فى ضوء المصباح الخافت الذى يلقى بظلال الجالسين على الجدران :

ـ عشرون يوما ونحن نعيش فى العتمة كالخفافيش ! أكاد أموت شوقا لأحضان ويلى ونزهة القارب فى البحيرة والسهرة الراقصة فى الديسكو !

ابتسم جيمى مؤكدا ثقته بنفسه :

ـ كلها ساعات وستحلق بنا طائرة الكنز التى ستهبط بنا على جزيرة الأحلام !

طفحت الجدية الصارمة على نبرات سام :

ـ واضح أن الخطة رقم ٢ هى التى ستنفذ ! لن أستطيع أن أحل محل الكابتن جلال الذى ذاب كفص ملح !

قال كيمو وهو يتخلل بأصابعه شعر القناع :

ـ لا تقلق ! فنحن نحفظ تفاصيلها الدقيقـة عن ظهر قلب !

أكد جيمى على كلماته :

ـ كما نحفظ أقوال حكمائنا !

سألت سونيا سام مستفسرة :

ـ وهل سينتهى دورنا بمجرد هبـوط الطائرة على جزيرة الأحلام ؟

ـ بعد الهبوط ليس عليك سوى ارتداء المايوه البكينى والانطلاق مـع حبيب القلب ديفى بين زرقـة الأمواج التى تقبل أقـدام الجزيرة وأنتما تشنفان آذانكما بسيمفونية الطائرة وهى تنفجر بمن فيهـا من المصريين والفرنسيين العاشقين للحضارة المصرية !

علقت سونيا بنبرات مترددة :

ـ أخاف أن يثور العالم ضد فعلتنا هذه ! ! فلابد أن الأقمار الصناعية سترصد عملية تفجير الطائرة بمن فيها ! !

ـ لا تحملى هم الأقمار الصناعية ! فليست كل ما تصوره قابل للنشر !! هذا اذا صورت شيئا على الاطلاق ! كما اننا أساتذة فى قتل القتيل والسير فى جنازته ! سنكون أول من ينعى للعالم ضياع توت عنخ آمون ·· وسنحمل المصريين مسئولية التفريط فيه وهو ملك البشرية جمعاء ·· فليست هناك طائرة محصنة مئة فى المئة ضد السقوط !

صمت ليصب بعض الشراب فى كأسه ليبتلعه فى رشفة واحدة · فملأ جيمى فراغ الصمت :

ـ تفاصيل الخطة ستؤكد للعالم كله أن الطائرة قد فقدت بعد أن تعذر الاتصال بها ·· وأن الاحتمال الأرجح أنها سقطت فى البحر المتوسط ·· وهو بحر قادر على ابتلاع باخرة عابرة محيطات وليس مجرد طائرة !

علقت نورا على سبيل الاستفسار والتأكد :

ـ لكن الطائرات التى تسقط فى البحار والمحيطات تطفو بعد ذلك بمخلفاتها على مساحات شاسعة من المياه ·· ويمكن للطائرات المدنية أو الحربية رصدها وتحديد منطقتها !

تساءل جيمى فيما يشبه السخرية !

ـ وهل تعتقدين أن اختفاء الطائرة تماما من على سطح الأمواج جزء من خطتنا أو مسئوليتنا ؟! فلسنا نحن الذين طرنا بالكنز من بلده !

قال كيمو لنورا :

ـ الحساسية المفرطة التى تضع كل الاعتبارات فى الحسبان يمكن أن تصيب تفكيرنا بالتشوش ! ونحن فى أشد الحاجة إلى صفاء الذهن وتركيزه !

اضاف سام فى حزم وهو يتجرع كأسا أخرى :

ـ وخاصة إذا كانت هذه الاعتبارات من اختصاص الآخرين ! فليس لنا شأن سوى الاستيلاء على الكنز وتسليمه لقيادتنا !

لم تستطع سونيا أن تمنع نفسها من التساؤل :

ـ وماذا سوف تفعل به ؟!

أجاب جيمى :

ـ هذا ليس من شأننا !! لكننى اعتقد أن صعوبة التصرف فيه قد تدفع قيادتنا إلى صهره حتى تحرم مصر من التفاخر به ! وأعتقد ...

قاطعه سام فى صرامة :

ــ فليحتفظ كل واحد بمعتقداته لنفســه !! فان دورنا ينتهى تماما بتسليم الكنز للقيــادة التى تملك الخطط التى يمكن أن تمتد على مدى قرون وليس مجرد اعوام ٠٠ والتى يعجز قصار النظر من الدول والقادة عن إدراك أبعادها وأعماقها وآفاقها !

عادت سونيا إلى التساؤل القلق :

ــ لكن كيف سنضبط ميعاد وصول الميكروباس إلى المطار ونحن لا نعلم على وجه التحديد ميعاد قيــام الطائرة ؟!

ربت سام على ظهرها فى حنان دافق :

ــ معرفة ميعاد قيام الطائرة لا تعد مشكلة على الإطلاق إذا ما تم القبض على الطــاقم الأصـــلى للمضيفين ٠٠ عندئذ يمكنكم التحرك فى المطــار ثم ركوب الطائرة بدلا منه !! وربما اقتضت الظــروف القضاء على الطاقم الأصلى حتى يتم الاقلاع بلا مخاوف أو متاعب !!

انضمت نورا إلى سونيا فى قلقها المتسائل :

ـ لكن الاشارة لم تصلنا من جاك حتى الآن ؟!

ابتسم سام ابتسامة واثقة حانية وهو يربت على جهاز الاتصال الموضوع أمامه على المائدة :

ـ بدون هذه الإشارة سيتم إلغاء الخطة تماما !

يضاء المصباح الأحمر فى الجهاز على شكل نقطة يعقبها رنين مكتوم متقطع فيسرع سام إلى الإمساك بالجهاز فى يده وهو يبتسم لسونيا :

ـ ألو جاك ·· ألو جاك ·· معك يا حبيبى ·

جاء صوت جاك عبر الجهاز الصغير الذى لا يزيد عن حجم الكف :

ـ الميكروباس قادم ·· كل شىء يسير حسب الخطة البديلة ·· إذا لم أتصل بك مرة أخرى ·· فإن ساعة الصفر تبدأ بعد نصف ساعة ·· سلام ··

ـ سلام ··

التفت سام إليهم وكلماته تقطر تعاطفا :

ـ الشىء الوحيـد الذى يقلقنى انكم لم تناموا نوما كافيا !

وتوالت التعليقات فى أصوات متداخلة دبت فيها روح جديدة :

ـ اعتدنا ان نظل أياما بلا نوم !

ـ العمليـة كلهـا لن تستغرق أكثر من خمس او ست ساعات !

ـ أشعر اننى مقدمة على فيلم سينمائى مثير !

ـ إنها الضربة التى سيسمع دويها العالم أجمع !

●●●

(٣)

كان الغروب على وشك أن يرخى سدوله الرمادية على الطريق المؤدى إلى المطار الدولى عندما توقفت سيارة الميكروباس تلبية لإشارة ذلك المضيف الأرضى الذى خاطب السائق فى ضراعة :

– خذنى معك وحياتك ‥ لقد فاتنى اتوبيس الشركة ‥ ونوبتى فى العمل ستبدأ بعد خمس دقائق !

كان وجهه الحائر وزيه الرسمى يوحيان بالعقاب الذى سينزل به نتيجة تخلفه عن ميعاد النوبة فلم يتمالك السائق سوى أن يقول :

– تفضل ‥

– ألف شكر ‥ سلامو عليكم !

وقفز الرجل إلى داخل السيارة فى خفة القط البرى منطلقا إلى المقعد الخلفى وسعيدا بجلوسه عليه

بمفرده · انطلقت السيارة وهو يتأمل الملامح الجانبية لطاقم المضيفين والمضيفات الجالس أمامه : هشام وطارق وليلى وعـزة · كانت الملامح معتمة بعض الشىء تحت وطأة الغروب الزاحف ومع ذلك سـعد بالتشابه المطبق بينهم وبين كيمـو وجيمى وسونيا ونورا بحيث تستحيل التفرقة بين الوجه والقناع · فقد أشاع هذا الإتقان الفريد الطمأنينة والبشر فى قلبه إذ أنه يتفاعل دائما بالبدايات الطيبة ·

كان الرجل يتحسس الجيب الداخلى لسـترته والسيارة تنحرف يمينا وتتجاوز فندقا سطعت أنواره وسط العتمة التى افترشت الصحراء · أخرج من جيبه مسدسا ومن الجيب المقابل قناعا صغيرا ضد الغازات ومعه أنبوبة رش صغيرة ، وذلك دون أن يشـــعر بحركاته السريعة الخفيفة الجالسون أمامه · فجأة صاح وهو يسدد فوهة المسدس صوب مؤخرة رأس السائق :

– انحرف يمينا وادخل فى أعماق الرمال !

استدار السائق وقد اهتز المقود بعنف بين يديه · لم يصدق ما حدث فتعثرت الكلمات على لسانه · صرخ الرجـل :

ـ افعل كما امرتك ٠٠ وإلا قتلتكم جميعا !!

فجاة استدار هشّام للخلف محاولا انتزاع المسدس لكن الرجل عاجله بضربة خاطفة على رأسه افقدته توازنه فارتمى منكفئا على ظهر المقعد امامه ٠ استوعب السائق الموقف بعض الشىء فانحرف يمينا وأوقف السيارة إلى جوار الطوار الحجرى قائلا :

ـ سانفذ كل ما تامر به ٠٠ لكن هذه المنطقة الصحراوية التى تريد الدخول فيها بالسيارة وعرة ٠٠ وكلها أسلاك شائكة ومطبات ونتوءات صخرية لن تخرج منها الإطارات سليمة !!

ـ لن اضيع الوقت فى المناقشة !

ثم أطلق رصاصة للتهديد فاخترقت سقف السيارة ورددت الصحراء أصداءها ٠ أطبق السكون المعتم مرة أخرى على الأنفاس وقد استمد الموجودون الشجاعة من بعضهم بعضا فقال طارق :

ـ أهذا هو رد الجميل ؟! إذا كنت تريد الاستيلاء على السيارة فخذها واتركنا لحال سبيلنا ٠٠ فنحن لا نحمل شيئا يستحق السرقة !

صرخ الرجل صرخة ارتعدت لهـا فرائص ليلى وعـــزة :

ـ لست لصا .. لكن يمكن أن اكون قاتلا ..

توقف للحظات ثم قال بصوت آخذ فى الخفوت :

ـ اذا أجبرتمونى على ذلك !

خرجت الكلمات المرتعشة المتناثرة من بين شفتى ليلى دون أن تستعد لها وهى تتساءل بلا تفكير :

ـ إذا كنت تفـكر فى اختطافنا واغتصابنا أنـا وزميلتى .. فلن تنال منا سوى جثتين هامدتين !

انهمرت دموع عزة فى صمت كئيب فى حين قال الرجل لليلى :

ـ انت جميلة بالفعل .. ومغرورة أيضـا لأنك تتصورين أننى أجازف بنفسى من أجل الفوز بك !

لسعه الندم على الوقت المهدر فى النقاش العقيم فصاح مهددا السائق بمسدسه !

ـ الرصاصة القادمة ستكون فى رأس احدكم !
هيا انحرف وتوغل فى الصحراء !

فجأة سطعت مصابيح غمرت بنورها منحنى الطريق وهى تقترب فصرخ الرجل :

ـ أى صوت أو أية حركة سأفجر السيارة !!

كانت مصابيح حافلة ضخمة تحمل وفدا سياحيا صوب المطار • مرت الحافلة دون أن يعبأ أحد فيها بالسيارة المتنحية جانبا • بدأ هشام يسترد وعيه فاستدار للرجل الذى عاجله بضربة خاطفة من كعب مسدسه ليرتمى على ظهر المقعد مرة أخرى !

أدار السائق محرك السيارة وهو يتساءل بنبرات مرتعشة :

ـ وماذا سنفعل بعد الدخول فى الرمال ؟!

أطلق رصاصة فى سقف السيارة وهو يصيح :

ـ لا تسأل •• نفذ !!

لم يجد السائق مفرا من إدارة المحرك بأقصى

طاقته لينطلق بعيدا عن الطــوار ثم يستدير لتقفز الإطارات على حافته وتدور بجنون على الكثبان الرملية التي غرقت في أنــوار الكشافين الكبيرين . أصبحت السيارة قاربا وسط أمواج متلاطمة صعودا وهبوطا ، لكن قبضة الرجل على مسدسه لم تهتــز وهو ينظر حوله ثم خلفه فإذا بأضواء الطريق الخافتة قد تلاشت تماما ، بل إن مصـــابيح السيارات والحافلات التى تنهبه بدت مجرد بقع بيضاء وصفراء متحركة ثم آفلة .

وضع الرجل القناع المطاطى على انفه وفمه وهو يصيح بالسائق :

– قف هنـــا !

توقفت السيارة بعنف أوشك أن يقلبها رأســا على عقب .

التفت إليه الرازحون تحت الكابوس لكنه اطلق بيسراه رذاذ الأنبوبة الصغيرة فطفت سحابة بيضاء أصابتهم بسعال متقطع سرعان ما انقلب إلى خدر سري في أوصالهم . أوقف السائق دوران المحرك قبل زحف الغيبوبة على تلافيف مخه .

فتح الرجل باب السيارة وانطلق منه كالصقر ليغلقه مرة أخرى خلفه • كانت السحابة البيضاء تتكاثف خلف زجاج النوافذ التى فقدت شفافيتها تماما والرجل يخرج من جيبه مطواة ، شهر سلاحها وطفق يطعن الإطارات حتى تساوت بالرمال الناعمة تحتها • ثم نزع القناع المطاطى من على انفه وفمه ووضعه مع المطواة والأنبوبة فى جيب سترته الأيسر • كما أعاد المسدس إلى مكانه فى الجيب الداخلى وانطلق منتشيا يكاد يصدر صفيرا جزلا بشفتيه ، لكنه سرعان ما سقط على وجهه وتناثرت حبات الرمال الناعمة فى عينيه •

نهض ورعب غامض يسرى داخله • حاول طرده بإخراج بطارية صغيرة أضاء بها مواقع اقدامه • كان كل همه أن يبتعد عن موقع السيارة بأسرع ما يمكن ، لكن الرمال الناعمة وأقدامه الغائصة فيها لم تسعفه كثيرا • استمات فى مصارعة الرمال وتفادى الصخور الناتئة حتى بدت مصابيح الطريق الخافتة عند الأفق ثابتة حول كشافات السيارات والحافلات

المـارقة صوب المطار ٠ لم تتخل عينـاه عن بقـع
الضوء الثابتة والمتحركة حتى بلغ الطريق ليتجاوزه
إلى الطريق الموازى العائد إلى القاهرة ٠ لم تمض
داقائق حتى بدت سيارة أجـرة عنـد المنحنى سرعان
ما توقفت لإشارته لتنطلق به إلى قلب القاهرة التى
تالقت باضوائها الساطعة ٠

●●●

(٤)

بدت الطائرة المصرية رابضة على أرض المطار كابى الهول • كان المطار يعج فى داخله وخارجه برجال الأمن النظاميين والسريين على حد السواء • ولم يبد مندوبو الشركة الفرنسية المصاحبة اية تعليقات على اجراءات الأمن التى وجدوها أشد صرامة مما توقعوا • كانت الكنوز قد تم تثبيتها فى بطن الطائرة وعادت العربات المصفحة أدراجها إلى قواعدها وقد تجاوزت المهمة الساعة الخامسة والدقيقة التاسعة مساء كميعاد سرى لانطلاق الطائرة بعد أن كان جميع المرافقين يظنون أن الساعة الواحدة مساء هى ميعاد الإقلاع •

سرى القلق فى عروق أعضاء الوفد المصاحب للكنوز وظن بعضهم أن الرحلة قد ألغيت نتيجة للمعارضة الشديدة لسفرها • ظلوا يترددون من الحادية عشرة صباحا بين استراحة المطار ومكتب شركة الطيران والاستعلامات فلم تخرج إجابات الموظفين عن :

ـ لا تقلقوا .. عندما يتحدد ميعاد الطيران سنبلغكم فورا !

ـ إنها رحلة غير عادية ولابد أن تكون اجراءاتها غير عادية كذلك !

ـ لابد أنهم فى انتظار أوامر الملك توت شخصيا !

ـ لا يمكن أن يؤجل السفر إلى الغد .. فلا يعقل ان تبيت الكنوز فى الطائرة دون داع !

وتحالف المساء مع برودة الشتاء على نفاد الصبر الذى ترك مكانه للقلق والضيق وخاصة عند الرافضين للرحلة أساسا من أمثال الدكتور سالم والدكتور علم الدين . اما رجال الأمن والصحفيون والمصورون فلم يكن لديهم وقت للقلق أو الضيق . فقد انهمك ضباط مباحث الآثار وعلى رأسهم العقداء نبيه وتوفيق ونصر فى مراجعة اجراءات الأمن بعد أن صدرت إليهم أوامر العميد عز الدين بالانضمام إلى قوة أمن الرحلة ، مع دراسة كل احتمالات الخطر المتوقعة مهما كانت بعيدة عن الأذهان . صعدوا إلى الطائرة وحددوا المقاعد التى سيجلسون عليها حتى يكون

تحكمهم وسيطرتهم تامة على كل الركاب والكنوز ·
قرر نبيه أن يجلس فى المقدمة على الجانب الأيسر
ليحكم سيطرته على الممر ، فى حين تحدد جلوس
توفيق ونصر فى الخلف على اليمين واليســار قرب
الممر أيضــا ·

وكان العميد عز الدين قد صرف النظر عن فكرة
وجود قوة أمن كاملة على متن الطائرة على أساس
أن كل أعضاء الوفد المصاحب للرحــلة وغيرهم من
الركاب معروفون شخصيا ، ولذلك فإن عملية التأمين
الجوى للكنوز أقل خطورة من التأمين الأرضى التى
ستتكفل به قوات الأمن الفرنسية بمجـــرد دخــول
الطائرة المجال الجوى الفرنسى · بالإضافة إلى أن
العقداء نبيه وتوفيق ونصر من أمهر خبراء العمليات
الخاصة وفى إمكانهم التنسيق الكامل مــع الجــانب
الفرنسى · وربما أدى وجود قوة أمن كاملة على متن
الطائرة إلى إفلات الزمــام إذا ما وقعت مواجهة
ـ لا سمح الله ـ مع العصــابة الدولية التى جــاءت
تحريات الأمن باحتمال وجودها · وحتى فى حالة
وجود هذه العصابة ـ على أسوأ الاحتمالات البعيدة ـ
فلن يتعدى عددها اثنين أو ثلاثة من الأفراد ·

أما الصحفيون فقد سعوا للحصول على أحاديث

من خبراء الآثار بعد إلحاح شديد ، لكنهم لم يحققوا ما يصبون إليه إذ أن اجابات الدكتور سالم وعلم الدين لم تقدم لهم مادة يسهل نشرها ، لأنها انصبت على رفضهم الصريح للرحلة خوفا على كنوز الملك توت • فانطلق الصحفيون الذين يجيدون اللغات الأجنبية إلى الأجانب والسياح المسافرين لاستطلاع رأيهم ، فوجدوا عندهم مادة خصبة إذ ندر الذى لم ير فيهم توت عنخ آمون ، بل إن معظمهم أشفق عليه من مخاطر الرحلة وفضل أن يأتى إليه البشر من كل أصقاع المسكونة ، بل إن سائحة إنجليزية شقراء ضحكت وبريق أزرق يومض فى عينيها وهى تقول :

ـ تحتم التقاليد العريقة على أن يمثل الرعايا بين يدى الملك •• لا أن يذهب الملك بجلالة قدره إليهم !

وسار المصورون فى موكب الصحفيين ومضت العدسات على الخصلات الذهبية ، والوجوه المرمرية ، والعيون الزرقاء والخضراء والرمادية ، والشفاه الوردية والقرمزية ، والأزياء التى تتراوح بين قمة الأناقة والشفافية وبين قاع الفوضى الغجرية •

أخيرا أعلن مكبر الصوت بصوت ترددت أصداؤه بين جنبات المطار :

ـ على السادة المسافرين على الطائرة المتوجهة إلى باريس التوجه إلى الحافلات الخاصة التى ستقلهم إلى الطائرة أمام باب رقم (٢٠) ٠

كانت الطائرة العملاقة تقف بعيدا عن الممرات الانبوبية لمضاعفة احتياطات الأمن ٠ فقد ظلت محاطة بالجنود المدججين بالسلاح فى ركن ناء من ساحة الهبوط ٠ وسرعان ما تجمع أعضاء الوفد من صحفيين ومصورين وأثريين أمام البوابة الزجاجية فى طابور مر كالسلحفاة أمام الضباط الذين لم يكتفوا بالأجهزة فى تفتيش الحقائب والجيوب ، بل قاموا بتفتيش شبه ذاتى ، فى حين قامت ضابطة جميلة ذات نظرات سوداء حادة بتفتيش الصحفية الشابة الوحيدة مها كامل التى تعجب اعضاء الوفد الصحفى لانضمامها إليهم وهى لا تتجاوز سن ابنة أحدهم ٠ فهذه الرحلة من الرحلات التى تعتبر من الهدايا والمكافآت التى تمنح لكهول الصحفيين ذوى النفوذ القوى ، فهى للفرجة وشراء ما تيسر من السلع الأجنبية مع تجنب الرسوم الجمركية عند العودة ٠ لكن دهشة الكهول زالت عندما علموا أن الصحفية الشابة التى عينت

منـذ شهر فقط هى بالنسبة لرئيس التحرير ، حلم الليل والنهار ، وبرغم انه لا يحتمل البعـد عنهـا ساعة واحدة إلا أنه لا يستطيع أن يرفض لها طلبا . وعندما ابدت رغبتها فى مشاهدة باريس التى سمعت عنها كثيرا ورأتها فى التليفزيون ، وقع قرار سفرها فى لحظات ، ولو كان هناك رئيس تحرير واحد فى الوفد لتعلل بوجوده ولحق به ، لكن الوفد كان أقل من مستوى رؤساء التحرير . ومع ذلك لم يعـدم الوسيلة إذ قرر أن يلحق بها بعد يومين بحجة تغطية الانتخابات الفرنسية .

ابتلعت الحافلة الضخمة نصف الطابور تقريبا لتتحرك فى تؤدة صوب الطائرة الرابضة حيث لفظته أمام سلمها وعادت لتحمل النصف الآخر .. شـاع جو من الإثارة الغامضة فى الركاب والمضيفة الجميلة تقـوم بتوزيعهم على مقاعدهم ، ولم يعـد للقلق والضيق مكان فى النفوس . ففى المقاعد الأمامية من الدرجة الأولى جلس وفد خبراء الآثار المكون من الدكتور سالم ورشاد وعلم الدين ، وإلى جـوارهم ضابط الأمن نبيه الذى بدا كواحد منهم برغم أنـه لم يتبادل معهم كلمة واحدة . فقد انهمك الثلاثة فى الحديث عن تمنياتهم بعودة توت عنخ آمون سالمـا

إلى وطنه · فهم على طائرة ستحمل كنزا من أروع كنوز مصر لتطير به بين ذراعى القدر ·

وكان مسئولو الشركة الفرنسية وخبراؤها قد قبعوا فى المقاعد الخلفية فى الدرجة الأولى والمقاعد الأمامية فى الدرجة السياحية ، وسرعان ما استسلم بعضهم للنوم وكأنهم قد فرغوا من مهمتهم الأساسية ولم يعد أمامهم سوى الاسترخاء والاستمتاع بالرحلة بعد أيام وليال طويلة ومتواصلة قضوها فى إعداد الكنوز للشحن ·

أما أعضاء الوفد الصحفى فقد تفرقوا فى مقاعد الوسط ، فى حين حرصت مها على الجلوس إلى جوار النافذة وشغف عينيها العسليتين يدل على أنها تركب الطائرة لأول مرة · كان وجهها الخمرى ، وشفتاها المكتنزتان ، وعيناها النافذتان ، وعنقها الفارع ، وصدرها الناهد المتمرد ، محورا لجذب العيون المحيطة بها ، وخاصة سمير المصور التليفزيونى الذى ركز عليها فى استراحة المطار ثم أسرع بالجلوس إلى جوارها وهو يعدها بأن يلتقط لها فيلما كاملا مع كنوز توت عنخ آمون عندما تعرض فى باريس · ولم تصد مها إقباله عليها كما لم تصد من قبل إقبال أى رجل معجب بجمالها الساخن ،

ويمكن أن يشكل درجة أو درجتين من درجات السلم الصاعدة عليه نحو أهدافها الشخصية التى لم تعلنها لأحد . فهى عاشقة لنفسها ولا تستطيع أن تمنع نفسها من حب من يحبها !!

تناثر طاقم الضيافة فى خفة ورشاقة تلبية لخدمة الركاب : هذا لا يعرف كيف يضبط ظهر مقعده ، وذاك يحاول فتح باب الرف المغلق أعلاه ليدس فيه حقيبة يده ، وآخر يضع سماعات الراديو على أذنيه بحثا عن موسيقى خفيفة لا يجدها .. إلخ . فى حين أسرع المضيف هشام إلى التأكد من غلق الأبواب وسط هدير محرك الطائرة وترحيبات الكابتن جلال فى الميكروفون بضيوف الرحلة :

ـ أهلا ومرحبا بكم على طائرة جلالة الملك المعظم توت عنخ آمون .. سيصل جلالته إلى باريس بعد أربع ساعات وعشر دقائق من الآن .. والهبوط بإذن الله فى مطار أورلى حيث حرس الشرف الفرنسى فى استقبال جلالته .. الحرارة فى باريس تسع درجات فوق الصفر .. رحلة سعيدة على متن الطائرة الملكية .. وبرجاء ربط الأحزمة وإطفاء السجائر .. شكرا ..

ثم صدح الميكروفون بسلام النصر من أوبرا « عايدة » والطائرة تستدير على الساحة بجلال ومهابة صوب بداية ممر الإقلاع الذى وقفت عند سهامه الأرضية المضيئة للحظات دار فيها المحرك بأقصى قوته لتطوى الممر طيا وترتفع بعجلاتها بين طيات الهواء لتبدو القاهرة بعد لحظات حسناء سمراء تحتضن النيل وتتألق بحبات الماس واللؤلؤ ، وقد بدت الطائرة وكأنها تتحرك فوقها كالسلحفاة ، لا تريد أن تفارقها بسهولة .

وقفت كل من ليلى وعزة تشرحان بالحركات كيفية استخدام أقنعة الأوكسجين وأحزمة النجاة فى حالة وقوع أى طارىء ، وبعد ذلك شرعتا فى توزيع المناديل الورقية المضمخة بالعطر ومعها المناشف المبللة بالماء الساخن فى حين قال الكابتن جلال فى الميكروفون :

– كابتن جلال يحييكم ويرحب بكم بالنيابة عن زملائه الكابتن زكى والمهندس أشرف وطاقم الضيافة هشام وطارق وليلى وعزة .. الوقت الآن بتوقيت القاهرة السابعة والربع مساء وسنصل بإذن الله إلى مطار أورلى فى تمام العاشرة والثلث مساء بتوقيت باريس .. رحلة سعيدة بإذن الله ..

ثم صدح الميكروفون بموسيقى باليه « إيزيس وأوزيريس » لعزيز الشوان ، وأضواء القاهرة تتلاشى والطائرة تتحول إلى طائر أسطورى يشع بعيونه المتعددة وسط طيات الظلام المتكاثفة ·

كانت الرياح مواتية والطائرة تنطلق بلا اهتزازات تذكر مما خفف من إحساس الكابتن جلال العميق بمسئولية الرحلة الخطيرة · قال لمساعده الكابتن زكى وشبح ابتسامة يراود شفتيه :

ـ إحساسى بالمسئولية فى هذه الرحلة ذكرنى بمخاوفى عندما قمت بأول رحلة منذ ثلاث وعشرين سنة !!

أجاب زكى وعيناه تتسللان عبر طيات الظلام أمامه :

ـ لا أحب أن أفكر فى مثل هذه الأمور حتى لا تؤثر على أدائى ·· فمثلى الأعلى ·· كما تعلم ·· هو الطيار الآلى !!

يطلق زكى الجملة الأخيرة فى دعابة ضاحكة لكن جلالا لم يتجاوب معه بل تساءل :

ـ هـل لاحظـت التغيرات التى طـرات على هشــام ؟!

ـ لا ٠٠

ـ عندما ألقيت عليه تحية المســاء ٠٠ أجاب بصوت أجش وباقتضاب على غير المعتاد ٠٠ وعندما أبديت ملاحظتى على نحــافته الطارئة أجاب بأن قسوة المهنة تفرض على ابنائها النحافة قسرا ٠٠ برغم أنه عبر مرارا عن فشله فى اتباع ريجيم غذائى يعيد إليــه رشاقته الضائعة !!

– ربما مر بظروف صعبة !! لكننى أدرى بقوة ملاحظتك التى ترصد ملامح البشر كما تحدد ملامح المطارات التى نهبط عليها !

ـ احيــانا تساورنى شــكوك وهواجس افضــل الاحتفاظ بها لنفسى ٠٠ فقد يتهمنى البعض بالجنون لو بحت بهــا !!

أما فى مؤخرة الطائرة فقد دار حوار شبه هامس بين توفيــق ونصر الــذى قــالَ مستمتعا بأمــــواج الطمأنينة ، وهى تغمر مخاوفه :

ـ لم أر حتى الآن ما يثير الشبهات !
فأجابه توفيق :

ـ لكن لابد من الحذر الكامل واليقظة التامة !

ـ هذه أشياء مفروغ منها ٠٠ لكن من الواضح أن الرحلة ستكون نزهة ممتعة إلى مدينة النـــور بدلا من الجلوس إلى المكاتب فى انتظار الإشارات والمهام الطارئة !

ضحك توفيق متخليا عن جديته الصارمة :

تمطى نصر مسترخيا فى مقعده :

ـ عليك بإرسال برقية شكر إلى العميد عز الدين على هذه الرحلة السياحية الممتعة !

ـ عندما قلت للعميد عز الدين وأنا أودعه أن لعنة الفراعنة ستعمل فى صفنا ٠٠ فالويل لمن يتعرض للكنوز ٠٠ قال لى بجديته المعهودة : إذاً ٠٠ لا داعى لسفركم واتركوا لعنة الفراعنة تقوم بالمهمة نيـــابة عنكم !!

لكن الطمأنينة لم تكن بالقدر نفسه فى كابينــة القيادة إذ تساءل الكابتن جلال :

– لم أر أحدا من طاقم المضيفين !!

اجابه مساعده زكى :

– لابد أنهم منهمكون فى تقديم العشاء للركاب !

وبالفعل كانوا منهمكين فى إعداد الترولى المحمل بالأكواب والأطباق . وشرع هشام وليلى بدفعه بين المقاعد ابتداء من المقدمة فى حين دفع طارق وعزة ترولى آخر من المؤخرة . وسال لعاب الركاب لمنظر الأطبـاق المحملة باللحم والجبن والسلطة والزبـد والأكواب المترعة بالبيرة والمياه الغازية . مال سمير على أذن مها وهمس فيها بنبرات حميمة :

– اسمحى لى أن أصورك وانت تأكلين.. فوجهك الجميل خير دعاية لهـذه المشروبات والأطعمة .. سأبيع الفيلم لهذه الشركات وسنقتسم الأرباح معا !

تحولت ابتسامته إلى ضحكة ثم إلى قهقهة ومها تقول فى دلال مفتعل :

– أنت تبالغ .. طول عمرى وأنا اتخيل نفسى صحفية . لكن لم يخطر ببالى ذات يوم أن أكون فتاة إعـلان !

ـ إن أصغر فتاة إعلان تكسب اليـوم أكثر من أكبر صحفى ! ويمكنني أن نؤسس معا وكالة للإعلان لو تركت الصحافة !!

ـ بل يمكننا أن نؤسس هـذه الوكالة وأنـا فى الصحافة حتى نستفيد بصـلاتى وعلاقاتى ٠٠ أمـا حكاية التمثيل هذه فاصرف نظرك عنها !

كان سمير متيما بالنظر إلى عينى مهـا النافذتين وشفتيها المكتنزتين ، لكن نظراتها ومضت ببريق رعب خاطف لم يستوعبه ، وبدون تفـكير استدار بعينيه ليرى هشاما وليلى يحملان مدفعين رشاشين ! وإذ بالعيون الجاحظة والأفواه الفاغرة تستدير إلى الخلف فإذ بطارق وعزة يمسكان بمدفعين آخرين ، ثم عادت العيون والأفواه إلى المقدمة حيث صاح هشام :

ـ أيـة مقـاومة من اى راكب ستقابل بمنتهى الصرامة ٠٠ من يرغب فى البقاء حيا فعليه أن يلزم مقعده دون كلمة أو حركة !!

تبـادل توفيق ونصر نظرات خاطفة دون أن يتحسسا مسدسيهما ، فى حين شهقت مهـا دون أن تدرى ، وتحجرت النظرات فى عيون الركاب الجافة

والكلمات فى حلوقهم المشروخة ، أما مسئولو الشركة الفرنسـية فقـد نظـروا الى المختطفين بابتسامات مستعطفة مستجدية تكاد تقول :

– نحن مجرد موظفين وخـبراء محايدين .. لا ناقة لنـا ولا جمل فيما يدور !

استدار هشام بمدفعه الرشاش صوب كابينة القيادة تاركا نوبة الحراسة لليلى . كان الكابتن جلال على اتصال بمطار القاهرة حين دخل هشام مسددا فوهـة مدفعه إلى رأسه ومخرجا من جيبه خريطة قدمها إليه وهو يقـول :

– إذا كنت حريصا على حياتك فنفذ ما آمرك به !

اهتز جلال فى مقعده لكنه سرعان ما تماسك وهو ينظر إلى زكى وكأنه يقول له فى عتاب متسائل :

– ألم أقل لك ؟!

ثم استدار لهشام وقد أزاح عن رأسه مدفعه :

– منذ أن رأيتك الليلة والشك لم يفارقنى فى أنك هشام !!

– بل أنا هشام بالفعل ومعى طارق وليلى وعزة الذين اتفقوا معى على اختطاف الطائرة !

ـ لا يوجد مصرى يمكن أن يقدم على فعلة شنعاء كهـذه !

ـ لا تضيع الوقت عبثا ·· نريد الهبوط فى هذا المطـار !

أمسك جلال بالخريطة التى قدمها إليه مسلطا عليها أحد مصابيح الكابينة وقال بعد أن دقق البصر فيهـا :

ـ هـذا المطـــار لا يصلح لهبوط الطائرات الضخمة ·· فهو ليس مطارا دوليـا ·· بل يعتبر مطارا مهجورا ·· فليست به إضاءة تسـاعد على الهبوط الليلى ولا ممرات طويلة عريضـة للطائرات الحديثـة !

ثم استدار جلال قليلا صوب الميكروفون الذى خاطب من خلاله مطار القاهرة وقال بصوت مرتفـع قليـلا :

ـ إذا كنت مصرا يا هشام على اختطاف الطائرة برغم حمولتها التاريخية التى لا تقدر بثمن ·· فلابد من الهبوط فى مطـار يضـمن سلامتها ·· ولك أن

تفعل ما تشاء بها بعد ذلك ·· فمسئوليتى تنحصر فى الهبوط بها سالمة على الأرض ·· أى أرض !

جاء صوت الطرف الآخر من مطار القاهرة مستفسرا بالإنجليزية لكن هشاماً أسكت الميكروفون بركلة من مقدمة حذائه :

ـ إياك أن تتصور نفسك أكثر دهاء منا ·· ما فائدة المعرفة بعد فوات الأوان ؟! أما معلوماتك عن المطار فهى صحيحة ·· لكننى أضيف إليها أن المطار قد أصبح معدا للهبوط الليلى وللطائرات العملاقة الضخمة أيضا !

ـ وماذا ستفعلون بعد الهبوط ؟!

ـ أنت نفسك قلت إن مسئوليتك تنحصر فى الهبوط بالطائرة سالمة على الأرض ·· أى أرض !

ـ سأنفذ ما تأمرون به ·· لكن إذا كنت تتصور أنه لا يوجد من هو أكثر دهاء منكم ·· فلماذا لم تحضروا معكم الطيار الذى يمكن أن يقود الطائرة إلى حيث تريدون لها الهبوط ؟! فثقتكم فىّ لن تكون كاملة أبدا !

ـ فكرنا فى هذا .. لكننا فشلنا فى التعامل معك كما تعاملنا مع طاقم المضيفين !!

ـ هيه ؟! ماذا قلت ؟!

ادرك هشام بسرعة البرق فلتة لسانه فاستدرك لكن بنبرات لم تخل من تردد قلق :

ـ مادمت أجيد قراءة الرادار والخرائط الجوية فيمكننى أن أوجه الطيار الوجهة التى أريدها بالضبط دون أن يستطيع خداعى !

تأكد جلال من طيات الحوار وتأمله لوجه المختطف ونبرات كلماته التى يحاول قدر إمكانه أن يغلفها باللهجة المصرية أنه يرتدى قناعا يجسد ملامح هشام . فقد شاهد فى الأفلام الأجنبية من قبل مثل هذه الأقنعة ، وخاصة فى أفلام الجاسوسية والعصابات الدولية ، لكنه لم يحاول أن يفصح عما يدور فى رأسه . ومع ذلك قال وقد استوعب الموقف كله :

ـ كان من الممكن لأحدكم أن يكون طيارا حتى لو كان فى زى مضيف .. فهذا من شأنه أن يطفىء عنكم نار الشك فىّ !

– لن اشك فيك .. لأنك عاجز عن خداعى !!
بل إنك لن تغير خط طيرانك لأن الجـزيرة تقــع
عليه .. ولابد أنك مررت بها اكثر من مئة مرة !

– ماذا يمكن أن يحـدث لو رفضـت السلطات
هبوطنا ؟! فكل الدول تسرع إلى إطفاء الأنوار وقطع
الاتصالات وغلق المطار !!

– لا تعبأ .. فليست هنـاك سلطات فى هـذه
الجزيرة سوانا !

لم يستطع جلال أن يمنع نفسه من التسـاؤل
دون تفكير مسبق :

– من أنتم ؟!

– ليس شأنك !! عليك بتنفيذ الأوامر وإلا تسببت
فى كارثة لن يفلت منها أحـد !

– أنتم أول الخائفين من هذه الكارثة ! فلا يعقل
أن تقوموا بهذه المخاطرة كى تستقروا فى النهاية مع
الكنوز فى قاع البحر !!

– لكن حرصكم على الكنوز اشـد من حرصـنا

عليها ! فهى تجسد امجادكم وتاريخكم العريض ؛ أما فى نظرنا فهى مجرد غنيمة .. ولذلك فنحن أكثر جراة منكم !

– وما مصيرنا ومصير الطائرة بعد الهبوط فى الجزيرة ؟!

– أسئلتك كثيرة للغاية .. سأبلغك بالأوامر أولا بأول !

– وهو كذلك !

استدار جلال لينظر عبر طيات الظلام المتكاثفة أمام عينيه وآلاف الأفكار المحمومة والتساؤلات المسعورة تنهش عقله فى ليلة غاب عنها القمر .

●●●

(٥)

عندما التقط برج المراقبة فى مطار القاهرة الدولى الإشارة التى فهم منها أن الطائرة قد اختطفت بدليل انقطاع الاتصال بها ، قامت الدنيا ولم تقعد · فقد أبلغ العميد عز الدين المسئول الأول عن تأمين الرحلة كبار المسئولين فى وزارة الداخلية الذين سرعان ما كونوا معه فريق عمل انتقل إلى المطار حيث اقام غرفة عمليات لتتابع الموقف أولا بأول ·

لم يصدق أحد من كبار المسئولين أن يقوم طاقم المضيفين المصريين باختطاف طائرة توت عنخ آمون وسرقة كنوزه · كانت الإشارة التى تم تسجيلها مليئة بالمتناقضات والتساؤلات المعلقة دون إجابة : لماذا لم يفارق الشك الكابتن جلال فى أن المضيف هو هشام ؟! بدليل أنه لا يوجد مصرى يمكن أن يقدم على فعلة شنعاء كهذه ؟! وما السر فى اعتراف هشام بأنه اتفق مع طارق وليلى وعزة على اختطاف الطائرة ؟! ثم يعود الكابتن جلال إلى الاعتراف بأنه هشام وبأنه مصر على اختطاف الطائرة برغم

حمـــولتها التاريخية التى لا تقـــدر بثمن ؟! ثم انقطاع الاتصال وعدم معرفة مصير الطائرة برغم اتصال مطار القاهرة بجميع مطارات منطقة البحر المتوسط التى لم تتلق بدورها أيــة إشــارة من الطائرة !!

كان الرعب الأكبر عند المسئولين قد تجسد فى هاجس احتمــال ســقوط الطــائرة فى البحــر بعــد معركة بين المختطفين ورجال الأمن المصاحبين للرحلة ! إن اى ثقب فى الطائرة كفيل بتسريب الهواء منها وسحبه على هذا الارتفاع الشــاهق مما يؤدى إلى اغمــاء الركاب أو اختناقهم ثم فقدان الطائرة لتوازنها وتحولها إلى ريشة فى مهب الرياح !

ولكن سرعان ما سيطر المسئولون على اعصــابهم وشرعوا فى إجراءاتهم .. كانت أول معضلة تواجههم تتمثل فى إذاعة الخبر فى وسائل الإعلام ام كتمانه حتى تتضح الأمور اكثر ؟! وبعد مناقشات سريعــة وحادة أخذوا برأى العميد عز الدين الذى اكد أن التسرع فى إذاعة الخبر لن يثير سوى القلق والاضطراب والمخاوف الشعبية التى يمكن أن تؤثر على كفــاءة الأداء بدون داع ، وخاصة أن الأمر كان بمثابة لغــز شديد الغموض والتعقيد بعد أن قام رجــال الأمن

بسد كل الثغرات التى يمكن أن يتسلل منها أى مختطف ، ثم تأتى الأنباء بقيام طاقم المضيفين نفسه باختطافها !! ماذا سيقولون للشعب ؟! هل سيقولون له أن أربعة من أبنائه قاموا بسرقة كنز كنوز مصر بدلا من حراسته وحمايته ؟! وماذا يمكن أن يكون أثر هذه الأنباء فى نفوس الشعب لو ثبت خطؤها ؟!

وبالفعل شرعوا فى تحرياتهم بالاتصال بأسر المضيفين التى أصيبت بالذهول وأكدت على أن هذه الأقاويل ليست سوى شائعات حقيرة تريد النيل من شرف أبنائها ، ثم تحول الذهول إلى رعب من مصيرهم بعد أن انقطعت أخبار الطائرة ، وهرعوا جميعا إلى المطار حيث التفوا حول غرفة العمليات متلهفين على ورود أية إشارة أو سماع أى خبر يطفىء النار المتأججة فى صدورهم ٠

ثم وقعت المفاجأة المذهلة التى لم تكن فى الحسبان بحيث تحولت وجوه الجميع داخل غرفة العمليات الزجاجية وخارجها إلى تماثيل أفقدها الهلع القدرة على الكلام أو حتى الصياح ، وكأنهم يرون أشباحا أتت من عالم آخر أو مخلوقات غريبة هبطت من كوكب لم نسمع عنه من قبل ٠ لكن سرعان ما رحب بهم العميد عز الدين وأدخلهم الغرفة

الزجاجية برغم تكالب الواقفين خارجها عليهم بالأسئلة المحمومة والدموع المنهمرة والصيحات الشاردة والأحضان المبتورة . تعلقت العيون بما يدور داخل الغرفة الزجاجية ، قانعة بالصورة دون الصوت إذ أن مجرد لمحة خاطفة من هذه الصورة كانت - منذ لحظات - حلما عزيز المنال .

في داخل الغرفة الزجاجية جلس أعضاء طاقم المضيفين ومعهم سائق سيارة الشركة يحكون للعميد عز الدين ما جرى لهم على يدى مختطف السيارة ، وكيف ساروا على أقدامهم في عتمة الصحراء بمجرد تخلصهم من الغيبوبة التي أمسكت بخناقهم ، حتى بلغوا الطريق المؤدى إلى المطار بعد جهد جهيد ثم اعترضوا حافلة أقلتهم وهم لا يدرون أبعاد المأساة التي وقعت .

سأل هشام العميد عز الدين الذى لم تفارق عيناه صفرة وجهه وحمرة نظراته :

- هل وقع مكروه للطائرة ؟!

- اختطفها المجرمون الذين تقمصوا شخصياتكم ثم انقطعت أخبارها تماما !

قال طارق وهـو يقاوم احتباس صـوته نتيجة اختناقه بالدخان :

– ألا يمكننا المساعدة فى أية مهمة نقوم بها ؟!

– وجودكم هنا وأقوالكم أكبر خدمة لنا ·· فقد اتضحت الأمور تماما ويمكننا أن نقوم الآن باجراءات محددة ·· ومن يشـعر فيكم بالحاجة إلى عـلاج فسننقله إلى المستشفى ·· أما فيما عدا هذا فيمكنكم العودة إلى البيت للراحة !

صاحت ليلى دون تفكير :

– سنظل مع سيادتك حتى عودة الطائرة سالمة ··

ثم اضافت عـزة بابتسامة شـاحبة ونظـرات دامعـة :

– هـذه هى مهنتنا التى نعـرف كل تفاصيلها وخطواتها ·· وإذا لم يكن وجودنا ذا فائدة ·· فلن يكون معوقا على أسوأ الفروض !

اضاف هشام بنبرات محمومة :

– إحساسنا بالذنب يكاد يقتلنا !!

علق العميد عز الدين :

– الخطأ يقع على عاتق السائقين الذين يتوقفون لأى شخص يشير إليهم ظنا منهم أنهم يقومون بخدمة إنسانية !!

أشاح السائق بوجهه الشاحب بعيدا وأحاسيس الخجل والذنب والضياع تكاد تقتله !

استدار العميد عز الدين لمساعديه قائلا لأحدهم :

– أريد الاتصال بمكتب السيد الوزير فورا !

وسرعان ما كان الوزير يتناقش مع عز الدين الذى اقترح إذاعة النبأ بالراديو والتليفزيون حتى يتكاتف الشعب مع المسئولين فى تضييق الخناق حول من تبقى من أفراد العصابة الدولية ، وخاصة مختطف سيارة الشركة الذى تأكد وجوده ، كما صدرت الأوامر لكل منافذ البلاد الجوية والبحرية والبرية بمراقبة كل من يشتبه فى أمره . ولم يكتف الوزير بإذاعة كل تفاصيل عملية الاختطاف ، بل طلب إبلاغ كل السلطات الفرنسية وكل المطارات التى تمر الطائرة

بمنطقتها بهدف التعاون فى مواجهة المحنة التى لا تخص مصر وحدها بل العالم أجمع ٠

وبعد دقائق كانت أجهزة الإعلام المصرية تذيع النبأ الخطير الذى التقطته وكالات الأنباء ليصاب العالم أجمع بصدمة أعنف وأقسى من تلك التى أصابته عند اندلاع الحرب العالمية الثانية واجتياح قوات ألمانيا النازية لأوروبا ، وذلك على حد قول المعلق الفرنسى فى إذاعة أوروبا رقم ١ ٠ ففى مقاهى القاهرة وشوارعها وأنديتها تناقل الناس الخبر الذى نزل عليهم كالصاعقة لدرجة أن البعض عجز عن تصديقه أو استيعابه ٠ وفى المحافظات تجمع الناس فى الميادين والأسواق أو اعتكفوا فى البيوت حول أجهزة الراديو والتليفزيون لعل آذانهم وعيونهم تلتقط ما يعيد برد الطمأنينة إلى قلوبهم المشتعلة ٠ فقد جثم الوجوم على الوجوه والذهول على العيون ، وخلت الطرقات من المارة مع تقدم المساء واختفاء الطائرة بين طيات المجهول وغياهب الظلام ٠

وفى باريس هرع الفرنسيون من الشوارع إلى مقاهى الشانزليزيه والبيجال لالتقاط ما يمكن سماعه من الراديو والتليفزيون ٠ حتى العشاق المتعانقون على الأرصفة أو عند النواصى ، دهمهم النبأ وتحولت

النظرات الحالمة ، والكلمات الهائمـة ، والهمسات الحميمة ، واللمسات الدفينة ، والقبلات اللافحة ، إلى جمـل متناثرة ، وكلمات متقاطعة ، ونظرات زائغة ، وآمال غائمة حول مصير الكنز الذى احتواه العـالم كنبضة من نبضات قلب حضارته منـذ تم اكتشافه • وفى ميـدان الكونكورد فى باريس تناثر السياح على الطوار المحيط بالمسلة المصرية وقد تعلقت عيونهم بها ووميض حاد ينطلق منها بآلاف المعانى والتسـاؤلات والآمـال والإحباطات • وعلق سـائح إنجليزى قائلا لصديقته :

– طوال اليوم ونحن فى زيارة متحف اللوفر •• لم ننبهر بمثل ما انبهرنا بالقسـم المصرى بتماثيله ومومياواته !!

اضافت صديقته بنبرات شاردة :

– وأنا الآن أتسـاءل •• هـل يمكن أن يفرط الفرنسيون فى محتويات القسـم المصرى فى اللوفـر بعرضها فى بلاد أخرى ؟!

انهمك السائح الإنجليزى فى حديث الذكريات :

ـ اتذكر يوم استعار الفرنسيون « حجر رشيد » من المتحف البريطانى فى لندن لعرضه فى باريس فى ذكرى اكتشاف الحملة الفرنسية له فى مدينة رشيد ٠٠ كان ذلك فى أوائل الستينيات حين رفض رجال الأمن الفرنسيون والبريطانيون نقله بطريق الجو رغم قصر المسافة بين لندن وباريس وبرغم كل ضمانات الأمن ٠ وتقرر نقله بطريق البر الذى أمنته كل من القوات المسلحة البريطانية والفرنسية بقوات برية مشاة ومدرعات وقناصة وبطائرات السلاح الجوى التى لم تتوقف عن طلعاتها حتى عودة « حجر رشيد » سالما إلى مقره فى المتحف البريطانى !!

ـ مع ان « حجر رشيد » لا يمكن أن يقارن بكنوز الملك توت عنخ آمون !! ومع ذلك يقبل المصريون نقله بهذه البساطة إلى بلاد أخرى برغم علم الجميع أنه لا توجد طائرة محصنة مئة فى المئة ضد الأعطال التى يمكن أن تؤدى إلى سقوطها !! ناهيك عن اختطافها !!

ـ كان لى حظ مشاهدة كنوز الملك توت عنخ آمون عندما عرضت فى لندن عام ١٩٧٢ ٠٠ وكنت قد شاهدتها قبل ذلك فى مقرها الدائم بالمتحف المصرى بالقاهرة ٠٠ وانتابنى شعور غريب غامض أوحى

إلىّ بأن قناع الملك توت بدا حزينا مكتئبا فى غربته ، فى حين ساده السلام والطمأنينة عندما كان فى بيتـه فى القاهرة !

وأصبح خـبر اختفاء طائرة توت عنخ آمـون الخـــبر الأول فى نشرات كل الإذاعات الصـوتية والمرئية ، بل إن بعضـها افـرد له بيانات وبرامج خاصة تبدأ باكتشاف هوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون فى الخامس من نوفمبر ١٩٢٢ فى البر الغربى بالأقصر وتنتهى بلحظة الاختطاف الراهنة ٠

وسرعان ما تم التنسـيق بين وزراء الداخليـة والدفاع والثقافة فى كل من مصر وفرنسا فى محاولات مستميتة لإنقاذ الكنـوز واستعادتها بكل الوســائل الممكنة ٠ وكانت أول نتيجة لهذا التنسيق قيام أسراب من طائرات السلاح الجوى المصرى والفرنسى بمسـح منطقة مجال الطائرة من الجنوب والشمال بعد أن استحال الاتصال بها ٠

كانت الليلة تنبىء بأحداث رهيبة وربما كئيبة !

وكيف يغمض للعـالم جفن وكنز الكنوز معـلق بين المصير المجهول والظلام الحالك فوق أغـوار بحـر يفتح شفاه لجحه لابتلاع كل ما يتساقط فوقه ، سواء اكان طائرا بين السـحب أو سابحا بين الأمـواج المتلاطمة . فإذا كان أصحاب الكنز قد عجزوا عن الاحتفاظ به ، فليحتفظ به هو إلى أبد الآبدين !!

●●●

(٦)

أمست الطائرة جحيما معلقا بين السماء التى غاب قمرها وبين البحر المظلم الهادر بأمواجه المتلاطمة تحتها بتسعة آلاف متر . وفى قلب هذا الجحيم استطاع رجال الأمن وبعض الصحفيين استيعاب أبعاد الكابوس الحى ، أما الآخرون فتعلقوا بأمل الاستيقاظ السريع منه وكأن شيئا لم يكن . نضح العرق على بعض الجباه برغم أن الهواء المكيف داخل الطائرة كان على مايزام ، وومضت حمرة الدموع فى بعض العيون التى تتابع ولا تصدق ، وارتعشت بعض الشفاه فى صلاة صامتة كى يزيل الله الغمة الجاثمة على الأنفاس تكاد تزهقها ، وشردت بعض النظرات عبر نولفذ الطائرة فلم تجد سوى الظلام الذى يكاد يتسلل منها ليطبق على الأنوار داخلها .

لم يحتمل رجال الأمن المصريون أن تظل المبادرة فى أيدى المختطفين أكثر من هذا ، فنهض العقيد

نبيه وهو يصور بالحركات الصامتة رغبته فى الذهاب إلى دورة المياه لكن سونيا توجه مدفعها الرشاش إلى صدره وهى تأمره بالجلوس فيجلس مضطرا راضخا · لكنه – وهو الذى اشتهر فى دوائر الأمن بموهبته فى ابتكار خطط من وحى اللحظة – لمح شبح ابتسامة باهتة على وجه أحد الركاب عندما قام بأداء المشهد الصامت ، مما أوحى إليه بفكرة كسر حاجز الرعب الذى أقامه المختطفون الذين يحكمون الموجودين بالرعب أولا وبالمدافع ثانيا · فإذا نجح فى الإطاحة بالهالة المرعبة التى تحيط بهم ، فإنه بذلك يكون قد سجل نقطة ضدهم · فى ذلك السباق المحموم الذى لا يستطيع أحد أن يتنبأ بنهايته ·

نهض نبيه مرة اخرى وهو يعيد أداء المشهد الصامت ولكن بمبالغة اشد واستهانة واضحة بالخطر مما أشاع الابتسامات على أكثر من وجه شاحب أو متغضن ، مما جعل سونيا تضع فوهة المدفع فى بطنه ، فإذا به يقول مداعبا إياها :

– لا يصح لسيدة جميلة أنيقة مثلك أن تضع المدفع هكذا فى بطن رجل ·· وعلى زعيمك أن يقوم بهذه المهمة بدلا من مراقبة الكابتن كما لو كان سائق

سيارة أجرة يوجهه فى شوارع القاهرة إلى العنـوان الذى يريده !!

صاحت فيه سونيا بلكنة أجنبية لأول مرة :

ـ اجلس مكانك صامتا ٠٠ وإلا فأنت تدرك ماذا يمكن أن يجرى لك !

ـ الذهاب إلى دورة المياه من أبسـط حقـوق الإنسان ٠٠ ولا تستطيع المدافع المضـادة للطائرات أو حتى الصواريخ التى تحمل رؤوسا نووية ، منـع هذا الحق ومصادرته !

اغتاظت سونيا للهجتـه البـاردة وابتسامته السـاخرة خـوفا من انتشار روح الاستهانة محـل الاستكانة فى نفوس الركاب :

ـ إياك أن تسول لك نفسك أنك من الدهاء بحيث يمكنك تنفيذ ما يدور فى عقلك ؟!

ـ لو علمت ما يدور فى عقلى لقمت بتسـليمى فورا إلى شرطة الآداب !! هذا إذا لم أكن نمـوذج الرجل المفضل عندك ؟!

تحولت الابتسامات إلى ضحكات متناثرة جعلت سونيا تصرخ وهى تدس فوهة المدفع فى بطنه .

ـ لن ارحمك إذا واصلت هذه السخافات !!

اشار بيده إلى ركاب الطائرة :

ـ هـذا هـو الشـعب المصرى على حقيقته .. لا يهاب أية محنة .. وإنما يسخر منها مهما كانت النتائج !! لا تظنـوا أننـا الآن تحت رحمتكم .. فشعبنا لا يعترف إلا برحمة الله سبحانه وتعالى !!

دفعت الماسورة فى بطنه اكثر وهى تصرخ :

ـ اجلس .. قلت لك .. اجلس واخرس !!

ـ تصرخين وترتعشين من رجـل اعزل برغـم مدفعك الرشـاش ؟! عموما سأجلس .. لكن عندما افقد القدرة تماما على التحكم فى نفسى .. فسأذهب إلى دورة المياه وليكن ما يكون .. فافضـل لى ان أموت مرتاح البال .. ونظيفا وأنيقا .. من أن أواصـل الحياة مبتلا غير محترم !!

جلس والضحكات تتردد فى مسامعه وتسرى بروح

جديدة بين الركاب ، وهى الروح التى أوحت للدكتور سالم بفكرة أخرى أكدت له انهم بالحـرب النفسية يمكنهم ان يكسبوا نصف المعركة ، وخاصة أن معايشة الخطـــر لحظـــة بلحظة يفقده الكثير من سطوته المرعبــة ٠

استدار فى جلسته القريبة من سونيا وأطل على الممر بين المقاعد ليسالها بصوت مسموع برغم أزيز المحـــرك :

ـ ألست خائفة يا بنيتى من لعنة الفراعنة ؟!

ـ كلام فارغ !!

ـ ما تفعلونه خطر عليكم قبل أن يكون خطرا على ركاب الطائرة ٠٠ ولم يحدث من قبل أن افلت إنسان من هذه اللعنة عندما تحل عليه !!

سألته فى سخرية واضحة :

ـ أنت عجوز مخرف !! أليس هذا واضحا من كلماتك المضحكة ؟!

ـ بل أنــا عالم آثار افنيت عمــرى فى دراســة الحضارة المصرية القديمة ٠٠ وما سأقوله لك هو من

باب الحقائق العلمية والمواقف العملية ٠٠ وليس من باب الثرثرة أو الخرافة !!

ـ لن اسمح لك بأن تقول أى شىء على الإطلاق !

أضاف بنفس الهدوء القاتل :

ـ الملل يكاد يقتلنا ٠٠ والطائرة لا تذيع موسيقى ٠٠ وأنا فى جعبتى الكثير من القصص والروايات الواقعية المثيرة ٠٠ تماما مثل هذه الرحلة المثيرة التى تظنون أنها ستنتهى لصالحكم فى حين أن هذه النهاية لا يعلمها سوى علام الغيوب !

ـ يمكنك أن تضع السماعة على أذنيك لتستمتع بما تشاء من الموسيقى !

ـ هل تظنين أنه من الطبيعى لإنسان مهدد بالموت فى اية لحظة ٠٠ بل يكاد يراه بعينيه ٠٠ أن يستمتع بالموسيقى ؟!

ـ لن تروا الموت إذا التزمتم الطاعة !!

ـ لا يعلم هذه الساعة سوى الله سبحانه وتعالى ٠٠ ومن يدرى ٠٠ فإن ساعة شابة جميلة متفجرة بالصحة والحيوية مثلك ربما تأتى قبل ساعة كهل مثلى خبر الحياة وشبع منها !!

كادت أن تصرخ وهى تتساءل :

ـ ما هذا الحديث السخيف ؟! لن أرد عليك !

ـ لا تجهدى نفسك فى الرد ٠٠ يكفى أن تسمعى ولك أن تصدقى أو تكذبى أذنيك !!

كاد الحنـق أن يقتلها فاستدارت بكتفها لتوجه مدفعها الرشاش إلى الرؤوس الملتصقة فى مســاند المقاعد ، والعيون التى فقدت القدرة على النظر إلى شىء محدد ، فى حين علت نبرات الدكتور سالم :

ـ لم يعرف العالم لعنة الفراعنة إلا منذ اكتشاف هوارد كارتر فى ٥ نوفمبر ١٩٢٢ لمقبرة توت عنخ آمون ٠٠ فى ذلك اليوم التاريخى قرأ كارتر عبارة على أحد الأبواب تقول : « سوف يطوى المــوت بجناحيه كل من يقلق الملك » !

التفتت سونيا إلى سالم وكانت كلها آذانا صاغية :

ـ وأنتم ٠٠ ألم تقلقوا الملك بنقل كنوزه وأقنعته الجنائزية إلى بلاد ليست له بها أدنى علاقة ؟!

ـ عندك حق ٠٠ كل الحق فى هذا ٠٠ ألا ترين أن لعنــة الفراعنة قد حلت بنــا منـذ اختطافكم

للطائرة ؟! لكنها لن تحل بنـــا وحدنا ·· فالدور عليكم آت لا ريب فيه !! ولاشك أن عقاب الاختطاف سيكون أبشع وأقسى من عقاب النقل !!

لم يستطع الجالسون فى المقـاعد الواقعـة بين منتصف الطـائرة ومؤخرتها أن يلتقطـوا كلمات الدكتور سالم ، فحاول أحدهم دون تفكير أن ينهض ويقترب منـه قدر الإمكان لكن جيمى الواقف فى المؤخرة بمدفعه الرشاش مع نورا صاح فيـه آمرا إياه أن يلتزم مكانه ، فعاد ليرتمى فيـه بنظرات زائغة متوسلة ·

شعر الدكتور رشاد أن صوت الدكتور سالم أوشك أن يبح وهو الذى اعتاد أن يتكلم بصوت هامس ، إذ لابد من علو الصـوت حتى لا يضيع مـع أزيز المحرك ، فانطلق الدكتور رشـــاد قائلا من مقعده المقابل لمقعد سالم :

ـ لم يكد كارتر يرى هذه العبارة حتى انزعج ·· لكن الحدث الجليل والكنز الدفين والشهرة والذهب شغلت الرجل عن هـذا الإنذار الرهيب ·· فأخفى العبارة عن عيون المساعدين حتى لا يوحوا للعمال بالتوقف عن الحفر ·· كما أخفى تحذيرا آخر عثر

عليه منقوشا على ظهر تمثال يقـول : « أنا الذى أطرد لصوص المقبرة والقى بهـــم فى جهنم. هـذه الصحراء · إننى حامى توت عنخ آمون » ·

صـاحت ســونيا بنبرات توشى ببوادر تردد وخـوف :

ـ كلام فارغ ·· كلام فارغ ·· كلهــا خرافات لا تجوز على الأطفال !!

انهمك الدكتور رشاد فى سرد روايته التى سرت فى أذنى سونيا مسرى السم الزعاف :

ـ ولمـاذا كل هذه العصبية بسبب مجـرد كلام فارغ ؟! حتى اللورد كارنرفون الذى قام بتمـويل اكتشاف المقبرة أصابته حمى مفاجئة ·· وقال الأطباء أن السبب هو أن فى وجهه جروحا قديمة ·· وقد أسال دماءه وهو يحلق لحيته ·· مما أدى إلى إصابته بالحمى !!

سأله العقيد نبيه وكأنه يناقش قضية علمية :

ـ وما رأيك يا دكتور رشاد فى هذا التفسير ؟!

ـ تفسير ساذج ولاشك ·· فقـد حـدثت ظواهر غريبـة لا تمت لمرض الحمـى بصـلة ·· كان اللورد

يصرخ : « النـار فى جسمى ٠٠ » وعندما يصـــاب بهذيان كان يقول : « أرى اناسـا يدحرجوننى على رمال الصحراء ويعصرون النار فى فمى » ٠٠ وجـاء ابنه من الهند ليزوره وقد تمـدد طريحا فى فنـــدق كونتننتال بالقاهرة ٠ وجاءت الممرضة فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق لتخبره بموته ٠٠ فذهب الابن ليرى أباه ٠٠ وانقطع التيار فى الفنـدق ٠٠ وفى مدينـــة القاهرة كلها ٠٠ ولم يستطع أحد أن يجد تفســـيرا مقنعا لانقطاع الكهرباء ٠٠

صمت الدكتور رشاد ليلتقط أنفاسه فالتقط منـه الدكتور علم الدين الخيط ليقول :

– وفى نفس اللحظة فى مدينة لندن صحا أهل بيت اللورد على الكلب الوحيد يعـوى ويصرخ ثم يقفز إلى سرير اللورد جثة هامدة ٠٠ وعندما تزاحم أهل البيت يرون ما الذى أصاب الكلب سقطت منضدة ضخمة على القطة السوداء التى يتفاءلون بها فماتت فى لحظة واحدة !!

لاحظ تيمو فى وقفته عند باب الكابينة أن قبضة سونيا على المدفع قد اهتزت بعض الشىء وتقلصت

أصابع يديها على الماسورة والزناد ٠ كان قد التقط آخر كلمات الدكتور علم الدين ففهم الرسالة المقصودة فاستدار وتقدم عدة خطوات قائلا للعيون الشاخصة :

ـ كلام فارغ ٠٠ فالتفسير العلمى لهذه اللعنة كفيل بقهر الخوف منها ٠٠ واعتقد أن علماء الآثار الموجودين معنا يعرفون هذا التفسير ٠٠ لكنهم يضربون على أوتار الخزعبلات بسذاجة منقطعة النظير ٠٠ ظنا منهم أن الرعب سيركبنا وسنسلم لهم الجمل بما حمل كما يقول المصريون !!

لم يكتم الدكتور سالم نبراته الناضحة بالسخرية :
ـ منك نستفيد !

لم يعبأ كيمو بسخريته وواصل كلماته بثقة راسخة :

ـ لم يكن معروفا حتى وقت قليل أن المصريين القدماء يستخدمون مادة مشعة فى تحنيط مومياواتهم وأن هذه المادة متوسط استمرار نشاطها الاشعاعى يبلغ ٣٦ ألف سنة ٠ وقد استخدم المصريون ثلاث طرق : الأولى : دهان المومياء بهذه المادة ٠٠ والثانية : دفن الجثة فى مرحلة معينة فى فترة معينة

فى نوع من التربة المشبعة بهذه المادة المشعة ثم بعد مدة من ٤٠ إلى ٧٥ يوما يقومون بنقلها إلى التابوت والثالثة : وضع علبة مليئة بالمادة المشعة فى مكان قلب صاحب الجثة · وهذه المادة المعروفة علميا باسم « راديو اكتيف الومنيوم » موجودة فى بعض أنواع التربة المصرية · وكل المومياوات والمقابر كانت بها هذه المواد التى تكثفت فيها نتيجة لإحكام إغلاق المقبرة قرونا عديدة ·· وكنتيجة طبيعية كان أول من يكتشف المقبرة ويدخلها يتعرض للجرعة الكبيرة من هذه الإشعاعات مما يؤثر عليه بإصابته بأمراض غريبة تنتهى بموته !

دخلت الطائرة فى مطب هوائى فاهتزت كقارب فوق أمواج عالية · ولكن كيمو قد شعر بميل غير محسوس بوضوح فى اتزان الطائرة فقفز كمن لدغته عقرب صوب كابينة القيادة فإذا بكابتن جلال يسارع إلى غلق جهاز اللاسلكى مع صرخات كيمو المتوعدة :

ـ ألم أقل لك ·· إياك والاتصال بالقاهرة ؟!

ـ من حقى كقائد ومسئول عن سلامة هذه الطائرة أن أجرب جهاز اللاسلكى ·· وإلا فكيف تظن أننى سأهبط فى المطار الذى حددته ؟!

ـ لا تحاول ممارسة الدهاء معى حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه !

ـ وأنت لا تحاول ممارسة التهديد لأنه لن يجوز علينا .. لا يوجد سواى أنا وزكى مساعدى لقيادة الطائرة .. وأنتم فى أشد الحاجة إلينا .. وستحافظون علينا بنفس حرقة رغبتكم فى الفوز بالكنوز .. ألم أقل لك إن غلطة عمركم أنه لا يوجد منكم من يستطيع القيادة ؟!

كاد كيمو أن ينفجر غيظا لكنه تساءل فى سرعة البرق :

ـ وما السبب فى ميل الطائرة بهذا الشكل ؟!

ـ مادمت لا تعرف القيادة فلا داع لهذه الأسئلة .. لأن أية إجابة مهما كانت ساذجة أو كاذبة ستقنعك !

وضع فوهة مدفعه فى رقبته :

ـ لا أزال أريد الإجابة الساذجة أو الكاذبة !

ـ هذا يحدث دائما فى المطبات الجوية .. ألم تركب طائرة من قبل ؟!

كانت الطائرة فى هبوط وصعود مرتعشين وكيمو

يكاد يموت كمدا من ثقة جلال بنفسه وعنجهيته برغم حياته المهــددة :

ـ أى تغيير فى اتجاه الطائرة ·· ستكون انت أول من يدفع ثمنه !

ـ أمامك جميع الأجهزة والمفاتيح ·· يمكنــك التأكد من شكوكك القاتلة ومخاوفك المرعبة !

نظر كيمو إلى الشاشات التى تجرى عليهــا خطوط ضوئية ·· والمفاتيح والأزرار المتألقة بأنوار حمراء وخضراء وبيضاء ·· فلم يستطع حتى حصرها لكثرتها ، ونظرات جلال المتشفية تتابعه فى ضــوء الكابينة المعتم :

ـ إنك خائف أكثر منــا ·· خائف من مجــرد الاتصال بالقاهرة وكأن القاهرة ستهب لنجدتنا ·· نحن تحت رحمتكم وأنتم خائفون منا !

أخيرا تخلت الطائرة عن ميلها وعاد إليها اتزانها فتنفس كيمو الصعداء مستعيدا توازنه هو أيضا :

ـ كفاك ثرثرة ·· كم تبقى على وصولنا إلى المطـــار ؟!

ـ ليس قبــــل ســاعة وأربعين دقيقة على أقل تقدير ·· لكننى لست مسئولا إذا كان المطار غـير معد للهبوط الليلى ·· فسيكون الهبــوط اضطراريا ولا يمكن أن أضمن نتائجه المخيفة !!

ـ نفذ ما أمرتك به تماما ·· فأنا المسئول الأول والأخير هنــا !

ـ أرجو أن يسجل التاريخ عدم مسئوليتى !

ـ أنتم المصريين شديدو الاهتمام بالتاريخ ·· وكأن التاريخ ليس عنده شعوب ودول أخرى سواكم ليسجل أحداثها !

ـ سواء شئت أم أبيت فالتاريخ بدأ بنا !

ـ ثم أدرك خطأه بعـد ذلك وصرف النظـــر عنـــكم !

ـ هذه أوهامكم التى تدل على مدى حقـدكم علينا ·· تحاولون قدر الإمكان التقليل من شأننا ثم تلهثون مسعورين لسرقة كنوزنا !

كاد يضرب عنقـه بفوهة المدفـع لولا صيحات قادمة من الدرجـة الأولى جعلته يعـــود القهقرى ويستدير ليجد جيمى مصوبا مدفعه إلى حقيبة يحاول الدكتور علم الدين فتحها وهو يقول :

– أليس من حق الدكتور رشاد أن يتناول دواء القلب ؟! ٠٠ رضينا بكم كمختطفين ٠٠ لكن كقتلة ٠٠ لا ٠٠ وألف لا !!

كان الدكتور رشاد ممسكا بكتفه اليسرى وهـو يتنفس بصعوبة ٠٠ نظر كيمـو إلى وجهه الشاحب ونظراته الزائغة قائلا لعلم الدين :

– افتح الحقيبة أمامى وأخرج الدواء !!

فتح علم الدين الحقيبة وأخرج الزجاجة التى صب منها قرصا فى كفه وهو يقول :

– نحن علماء آثار ٠٠ ولسنا عصابة !! نريد كوب مـاء !

أشار كيمو لجيمى بإحضار الكوب فهـرع إلى الترولى المهجـــور برغـم ازدحـــامه بالمأكولات والمشروبات وعاد أدراجه ليتجـرع الدكتور رشـــاد القرص بالمـاء وهو لايزال يعانى من صعوبة التنفس ٠

صاح كيمـو :

ـ نحن لسنا قتلة ٠٠ ولكن يمكن أن نكون إذا أجبرتمونا على ذلك !

فجأة مرقت صرخة من المؤخرة استدارت إليها العيون ، فإذ بنصر يتلوى على أرض الممر بتقلصات فى عضلات جسمه ، فيهرع إليه جيمى مصوبا مدفعه صارخا فيه :

ـ لن تجوز علينا مثل هذه الحيل الصبيانية ٠٠ انهض واجلس فى مقعدك كالكبار !

لكن نصرا واصل تشنجاته وتقلصاته وصرخاته بحدة اشد ، فانضمت نورا إلى جيمى وانحنت على نصر ، وقد أسندت مدفعها إلى جانب أحد المقاعد لتخرج من جيبها زجاجة صغيرة فتحتها ووضعتها على انفه لعله يفيق لكنه ضاعف من تشنجه بأن هوى بيده على رأسها لتسقط إلى جواره لكن جيمى عاجله بضربة كاراتيه من القدم فى رأسه ليرتمى فاقد الوعى على ممر الطائرة ٠

نهضت مها صارخة فى جيمى والدموع تنهمر على وجنتيها :

– نحن لسنا تحت رحمتكم ·· خذوا الكنوز حتى لو ذهبتم بها إلى الجحيم ·· لكن ليس من حقكم تهديد حياتنا بهذا الشكل !

وجه جيمى مدفعه إلى وجهها :

– اخرسى ·· واجلسى ··

انحنى جيمى قليلا ليطمئن على نورا التى سرعان ما استعادت وعيها ونهضت مبتسمة فى خيلاء وهى تربت على ذراع عشيقها ·

جلست مها باكية نائحة وسمير يربت على كتفها قائلا فى ضراعة :

– برغم كل شىء أنا متفائل ·· لن يتخلى الله عنا ·· ولا يمكن للشر أن ينتصر بهذه البساطة ·· فالخير دائما أقوى ··

– كنت أسعد الناس بهذه الرحلة ·· واعتبرتها رحلة العمر ·· لكن يبدو أنها رحلة الموت !

– بعد الشر !

وبرغم وطأة الكابوس ، تسللت بوادر متعة سارية فى وجدان سمير وهو يمسح بمنديله دموعها المتألقة

على وجنتيها الخمريتين وشفتيها المكتنزتين ، بل إنه قال لها مداعبا :

ـ آه ٠٠ لو استطعت أن أصور بالكاميرا ما يدور الآن ٠٠ بهذا أصبح أشهر مصور تليفزيونى فى العالم !

لكنها أشاحت بوجهها فى كآبة عبر زجاج النافذة التى كانت قطعة من ظلام حالك ٠

خلسة أخرج نبيه مسدسه من جيبه ليدسه بسرعة البرق فى صفحات مجلة كانت داخل الشبكة المعلقة فى ظهر المقعد الأمامى ٠ وبالفعل صدق حدسه إذ أصدر كيمو أوامره إلى سونيا بتفتيش الركاب فى المقدمة ، ونورا ركاب المؤخرة ٠ وبدأ التفتيش من الأمام والخلف وعيون كيمو وجيمى كالصقور على حركات الركاب واحدا بعد الآخر ٠

وكان نصر قد بدأ يفيق لكنه واصل التظاهر بالإغماء وهو يسرع بإخفاء مسدسه تحت المقعد المجاور له ثم يعود إلى التظاهر بالإغماء مرة أخرى ٠ وبالفعل عندما شرعت نورا فى تفتيشه لم تجد معه أى سلاح ، وقبل أن تنتهى منه جست نبضه الذى

وجـدته عاديا ، لكنها لم تكن تملك الوقت الكافى للتعامل معــه حتى تكشف حقيقة لعبته إذ أسرعت لتفتيش باقى الركاب الذين استسلموا لهــا تماما . وكانت سعادتها واضحة عندما فشل توفيق فى إخفاء مسدسه الذى جردته منــه ، مما جعلهــا تسرع إلى تجريده من بطاقة تحقيق شخصيته للتأكد من هويته ، لكنها فوجئت بالمهنة « صحفى » فسألته بلهفة :

– هل مصرح للصحفيين فى مصر بحمل الأسلحة ؟!

– أنا مشرف فى الجــريدة على باب الحــوادث والجــرائم .. وأحيانا أشــارك رجـــال الشرطة فى ضبطياتهم .. ومن حقى أن أحمى نفسى !!

نظرت إليه نظرة متفحصة متسائلة :

– من هم رجــال الأمن الموجودون معنـــا على الطائرة ؟!

– ولمــاذا تسألينني أنا بالــذات ؟! أســتطيع أن أدلك على الصحفيين فردا فردا .. أما رجال الأمن فلابد أنهم سريون لدرجة أنهم هم أنفسهم قد لا يدركون أنهم رجال أمن !!

ثم انفجر ضاحكا ، لكنها لم تتجاوب معه وواصلت

تفتيش الركاب حتى أوشكت أن تقترب من سونيا التى كانت أسرع منها فى تفتيش ركاب المقدمة بما فيهم الدكتور رشاد الذى لايزال تحت وطأة الأزمة القلبيـــة وإن كان تنفســه قــد أصبح أكثر هــدوءا ٠ وعندما فتشت سونيا العقيــد نبيه ولم تجــد معــه سلاحا ، لم يساورها الشك فيه إذ أنها ظنته احــد علماء الآثار لجلوسه بالقرب منهم ، وخاصة أنه لم يبد سعادة واضحة عنــد الانتهاء من تفتيشه ٠ فقــد كان يشعر أن الوقت يمضى فى غير صالحهم ولابد من تقدير سريع للموقف حتى لا يعود الركاب إلى الرضــوخ والاستسلام مما يوحى بأن خطـــة المختطفين على وشــك أن تتحقق بنجاح منقطع النظير ٠

قال نبيه بهدوء لكيمو الواقف بالقرب منه :

ـ لا داعى لأن ترهق نفسك بحمل هذا المدفــع المضحك ٠٠ فأية طلقة منه كفيلة بثقب جدار الطائرة وتسريب الهواء منها ٠٠ وبالطبع فأنت لست حريصا على حياتنا لكنك بالتاكيد حريص على حياتكم وعلى الكنــوز !

لم يرد كيمو وتظاهر بمراقبة الركاب فى حــين هرعت ثورا إلى نصر تحاول إفاقته لكنه أصدر شخيرا

من أنفه وفمه المفتوح مع تنفس ضعيف وزفير لا يكاد يخرج من صدره · نهضت وهى تقول لنفسها :

ـ فلتذهب إلى الجحيم !

عاود نبيه استفزاز كيمو :

ـ أنت لا ترد لأنك تعـلم تمـاما أن ما اقوله صحيح !!

خرج كيمو عن صمته :

ـ نحن نعرف جيدا كيف نصيب الهدف دون اى مساس بالطائرة أو بالكنز !

ـ ليس هناك سيد للموقف ·· فعنـد إطـــلاق الرصاص تطيش العقول ·· وتزوغ العيون ·· وتهلع القـــلوب !

ـ ليست هذه أول مرة نختطف فيها طائرة ! هل تتذكر حـــادثة اختطاف وزراء الأوبك بعـــد اجتماعهم فى فيينا والتى خطط لها كارلوس الارهابى الدولى ؟!

ـ طبعـا !

ـ من يقف أمامك كان قائد فريق المختطفين !

قالها كيمو بمنتهى الفخر والعنجهية وكأنه أراد أن يبث المزيد من الرعب فى نفوس سامعيه ٠ فقد كان ما يخيفه فعلا اعتياد الموجودين لهذا الجو بحيث يمكن استعادتهم لزمام المبادرة وهم الأغلبية ٠ كان كيمو واثقا من انهم يحكمونهم بالرعب أكثر من حكمهم بالمدفع ، ولو استهانوا لحظة واحدة بحياتهم فإن الأمور يمكن أن تنقلب رأسا على عقب ، وخاصة أن هناك نظرات غير مريحة متبادلة بين بعض الركاب الذين لا يعرف هويتهم على وجه التحديد ! بل إن نظرات هذا الرجل المسلطة على سونيا ، نظرات غريبة مريبة وكأنه يمارس معها عملية التنويم المغناطيسى ! وهى تحاول تجنبها قدر إمكانها !

بعد نظرات مركزة من الدكتور سالم على سونيا قال بصوت عميق أجش وكأنه قادم من أعماق التاريخ :

ـ كان على الجراح الإنجليزى الكبير دوجلاس درى الذى قام بتشريح جثمان توت عنخ آمون أن يفتح جزءا منه ليصل إلى أعماقه ٠٠ أزال بعض الأقمشة ثم الأربطة ثم اللفافات ثم المواد التى استخدمت فى التحنيط ٠٠ ووجد ١٤٣ قطعة من المجوهرات التى ازدانت بها أغطية الملك ٠٠ واحدة

منها سقطت وحدها ٠٠ وفجأة سقطت واحدة أخرى٠٠ والتصقت الاثنتان معا لكن أحدا لم يلاحظ ذلك فى الحال ٠٠ فقد كان الموقف مهيبا رهيبا ٠٠ أما ما حيَّر العلماء ٠٠ وخاصة علماء الأشعة فكان تميمة مصنوعة من الحديد ٠٠ غريبة الشكل ٠٠ فهى من الحديد وكل شىء حول الملك من ذهب ٠٠ لكن كيف تمت حمايته ألوف السنين والقضاء المبرم على من تهجموا على صوته الهادىء الأبدى ؟! هذا ما سوف نرى ٠٠

توقف الدكتور سالم عن الكلام ليلتقط أنفاسه ، فرأى كيمو سونيا وقد تحولت إلى آذان صاغية وعيون فاغرة فصاح فيها :

– وظيفتك هنا الانتباه لحركات الركاب وليس الانتباه لمثل هذه الحواديت الساذجة !!

قبل أن تفتح سونيا شفتيها قال الدكتور سالم متسائلا فى برود وابتسامة متهكمة :

– أتخاف من مجرد حواديت سخيفة فى حين لا نخاف نحن من مدافعكم الرشاشة ؟! ولكى اثبت لك صدق كلامى سأواصل حواديتى السخيفة فى

مواجهة مدفعك .. وستثبت للجميع قمة ضعفك إذا حاولت أن تسكتنى برصاصة لطيفة من مدفعك الرشيق !

تحاشى كيمو نظراته الثاقبة وهو يقول :

ـ ثرثرة عجائز .. لا اكثر ولا إقل !

واصل سالم زحفه وقد تلاشت من حوله كل أشباح الخوف :

ـ وقد اصيب الذين شرحوا جثة الملك بما أصيب به آخرون نتيجة **التعويذة أو التميمة السحرية ..** وهو الأثر الذى نص عليه كتاب الموتى الذى طلب من الملك ان يصحو ليموت أعداؤه .. ولن يموتوا بسهولة وإنما سيصيبهم الجنون أولا ..

صمت سالم ليرى وقع كلماته على وجه سونيا، فى حين التقط الخيط منه الدكتور علم الدين برغم متابعته لحالة الدكتور رشاد التى لم تتحسن كثيرا . قال :

ـ فمثلا نجد أن الكيميائى الفريد لوكاس قد أصيب بأزمة قلبية جعلته يتمرغ على الأرض ويهذى بكلمات غير مفهومة .. ويبدو انها كلمات فرعونية لكن أحدا لم يتبينها بوضوح .. وبعدها مات !

استمرأ الدكتور سالم دور الثنائى الذى يقوم به زميله معه فاستأنف بنفس الابتسامة المتهكمة الموجهة لسـونيا :

– أما الجراح الإنجليزى دكتور درى فقد أصيب بعده بجلطة فى المخ ومات ·· وقيل إن هذا الجراح قد أمسك ورقة وقلما وكتب هذه العبارة : الفصل ١٦٦ من كتاب الموتى ·· أى اللعنة عليه ··

لمح كيمو وميض التأثر فى عينى سونيا التى بدت وكأنها تريد أن تعرف المزيد فلم يطق صبرا وانفجر قائـلا :

– لو صحت لعنة الفراعنة التى تعتبر جزءا من تراثكم الفرعونى ·· فكيف سولت لكم أنفسـكم أن تطوفوا بكنوز توت عنخ آمـون لتراها الشعوب فى الشرق والغرب دون أن تصيبكم هذه اللعنة ؟!

تقبل الدكتور سالم كلمات التحدى المشتعل بهدوء جليـدى :

– برغم رفضى أنا شخصيا لمثل هذه الرحلات ·· فإن الهدف منها إظهـار عظمـة مصر القديمة ··

ولا يمكن أن تحل اللعنة على المؤمن بعظمة مصر !

فجأة بدت من النافذة المواجهة لكيمو بقع ضوئية تسـبق الطائرة قليـلا ثم تعـود لتواكب سرعتها ، فانطلق إلى كابينة القيادة وهو يصيح فى جلال :

– ما هذه الأضواء ؟! إذا كانت طائرات قد جاءت لنجدتك فثق أنها جاءت لنهايتك !

– إنها نهايتنا جميعاً .. وليست نهايتى أنـا وحـدى !

وضع فوهة المدفع فى عنقه :

– قل لهم أن يبتعدوا وأن يذهبوا لحال سبيلهم !

– كيف أتصل بطائرات لم تتصل بى وليس لى بها أدنى علاقة ؟! ألم أقل لك ؟! أنت لا تعـرف ألف باء الطيران وتريد أن تفرض علىّ جهلك !! أما إذا كنت خبير طيران حقيقة فتول أنت القيادة بنفسك حتى تتخلص من نار الشك التى تحرقك !

ثم نهض تاركا المقود وهو يشير لكيمو كى يجلس على مقعده ! أسقط فى يد كيمو فرفع فوهة المدفع فى وجه جلال صارخا :

– اجلس مكانك !

– وإذا لم أفعل ؟!

– ساقتلك !

– جرب !

– مساعدك يستطيع القيـــام بدورك كاملا ٠٠ وبمجرد ان نهبط فى المطار سنلقى بجثتك للكلاب !

وبدون كلام كعادته نهض زكى تاركا مقعـــده لينضم لجلال فى مواجهة كيمو ثم قال بهدوء يحسد عليـــه :

– وانا ايضا تستطيع أن تلقى بجثتى للكلاب !

اوشك زمام الموقف أن يفلت من يدى كيمو فعدل من نبرته :

– لا داعى للصراع ، لصالحنا جميعا !

اهتزت الطائرة بعنف فصاح كيمو دون تفكير :

– أرجوك ٠٠ الجميع هنا مسئولية فى عنقك !

– إذا ٠٠ لا تتدخل فى عملى !

– بشرط أن تهبط فى المطار الذى حددناه !

– وهو كذلك !

وعاد جلال وزكى إلى مقعديهما منتصرين وقد سرت بوادر التفاؤل فيهما ، فى حين اختفت الطائرة الحربية الصغيرة الغامضة ، وكيمو يعيد حساباته لكن مفاجأة أخرى صفعته دون أن يدرك حقيقة ابعادها . فقد وقعت عيناه على أضواء مدينة قابعة بين مرتفعات وسفوح . وقد حددت الأضواء ثلاث طرق متعرجة ومتوازية فى الوقت نفسه ، ويقطعها ثلاث دوائر من الضوء الخافت ، بدت وكأنها ميادين . هذه الخطوط والدوائر الضوئية سبق لكيمو أن شاهدها منذ حوالى ساعة ، فكيف تتكرر بهذا التطابق والمفروض أن الطائرة تجاوزتها لغيرها ؟!

ثبت فوهة المدفع فى عنق جلال مرة أخرى صارخا :

– لماذا غيرت مسار الطائرة ؟! هل تظن أنك عائد إلى القاهرة بهذه البساطة ؟!

– عدنا للهواجس المجنونة مرة أخرى .. ما الذى أوحى إليك بذلك ؟! هل حددت المسار ببيوت أو نواص أو ميادين معينة ؟!

لم يحتمل كيمو سخرية جلال لكنه تماسك :

ـ هذه المدينة المضيئة تحتنا والتى على وشك أن نتجاوزها مررنا عليها من قبل ! لم أر طيارا مراوغا ومريبا مثلك من قبل !

ـ جميع المدن الصغيرة ·· أيها العبقرى اللماح ·· تتشابه فى الظلام ·· فليست المدينة سوى طرقات وميادين تحددها الأضواء ! أما فى ضوء النهار فملامحها المتميزة تبدو أكثر وضوحا بالطبع !

مسح كيمو بعينيه المؤشرات والمفاتيح والأزرار والشاشات التى يصعب حصرها ولأول مرة يشعر بعجز قاتل أمام هذا المصرى الأعزل الذى جعل من صموده واستهانته بحياته وتمكنه من حرفته ، مدفعا أشد فتكا من المدفع الذى يحمله بالفعل ·

تساءل كيمو بنبرات طفح عليها قلق أسعد جلالا لأول مرة :

ـ كم تبقى من الوقت حتى نصل ؟!

ـ كفاك أسئلة لا تعبر إلا عن الشك والقلق والخوف !!

– الشك والقلق والخوف مشاعر لا تعرف طريقها إلى قلبى !

قالها تحت وطأة استفزاز يكاد يطحنه :

– إذاً .. دعنى وشأنى حتى أتفرغ لعملى !

لأول مرة راودت كيمو فكرة قتل جميع الركاب حتى لو أدى الأمر إلى تفجير الطائرة بمن فيهـــا وبما فيها ! لم يجد سببا منطقيا لإلحاح هذه الفكرة عليه ومع ذلك ظل يقلبها على جميع وجوهها وهو يتابع جلسة جلال الثابتة الواثقة أمام المقود والنافذة الزجاجية التى تتوغل بين طيـــات ظـــلام حالك لا نهاية له .

●●●

(٧)

بعد قيام اسراب من طائرات السلاح الجوى المصرى والفرنسى لمسح منطقة مجال الطائرة من الجنوب والشمال بعد أن استحال الاتصال بها ، عادت الروح إلى القائمين على غرفة العمليات بمطار القاهرة الدولى عندما نطقت أجهزة الاتصال بصوت الكابتن جلال قائد الطائرة وهو يقول بصوت رزين وخافت :

ـ هنا طائرة توت عنخ آمون ·· الكابتن جلال يتحدث إليكم خلسة قبل أن يعود المختطف إلى الكابينة ·· نجحت فى تغيير مسار الطائرة إلى القاهرة مرة أخرى ·· حتى الآن لم يشعر أحد من المختطفين بذلك ·· ارجو رفع حالة الطوارىء فى المطار إلى الدرجة القصوى إذا كان لنا حظ العودة سالمين ·· الخطر يزداد كلما تقدم بنا الوقت ·· الوقود يكفى بالكاد الهبوط فى القاهرة ·· هذا إذا لم يجد جديد مثل إطلاق رصاص أو عطل فى المحرك ·· لقد أتى ··

ثم انقطع الاتصال دون أن يتلقى الكابتن جلال أيـــة تعليمات أو ترتيبات من العقيد عز الدين . وكانت طائرات السلاح الجوى المصرى والفرنسى قد ارسلت إشارات تفيد بنجاحها فى رصـــد الطائرة ، لكنها عجزت عن الاتصال بهـــا فلم ترد على أيـة إشارة إما لعطل فى جهاز الإرسال أو منـع الكابتن من الاتصال . لكن حالة الطائرة مطمئنة وطيرانها على ما يرام .. وخاصة انها عدلت مسارها مـــرة أخرى إلى القاهرة .. بل إن طيرانها بهذا الشـكل قد يدل على أن رجال الأمن المصريين قد نجحوا فى القبض على المختطفين !

شرعت سلطات المطـار فى سرية تامة فى تجهيزه لاستقبال الطائرة فى حين سعد العقيد عز الدين مرة اخرى بصوت الكابتن جلال وهو يواصل إشـــارته خلسـة :

ـ لا أعلم شيئا عن حالة الركاب لأننى ممنـــوع من الاتصال بهم .. المحرك والأجهزة تعمل بانتظام حتى الآن .. قد لا أستطيع الاتصال مرة أخرى .. صلوا من أجلنا ! حـول !

ولم يستطع العقيد عز الدين أن يمنـع صـوته من التهدج :

ـ الله معكم ٠٠ وقلوب العالم كله معـــكم ٠٠ ارجـو أن يسرع توفيق ونبيه ونصر بتنفيذ الخطـة المتفق عليها ٠٠ الله معكم ٠٠ حول !

ـ شـكرا ٠٠ حول ٠٠

وانقطع الاتصال ٠ لكن أخبار العمليات الأرضية أكدت أن من تبقى من افراد العصابة على أرض مصر لن يفلت بالبساطة التى صورها له غروره ٠ والشعب المصرى بطبيعته فى زمن المحنة يتحول إلى رجل واحد ٠ فلم يكن متابعا لأخبار التليفزيون والراديو لمجرد الفرجة أو الإثارة التى لا حدود لها ، ولكن للمشاركة الفعلية بمعنى الكلمة ٠ فبعد إذاعة أوصاف الرجـــل الغامض الغريب ٠٠ الذى اختطف سيارة شركة الطـيران ، فوجىء العميد عز الدين بسـائق تاكسى يطلب السماح له للدخـول فى غرفة العمليات للإدلاء بمعلومات عن هذا الغريب الغامض بعد نصف ساعة فقط من إذاعة الأوصاف ٠ وقد اتفقت الأوصاف تماما مـع تلك التى أدلى بهـا طاقم المضيفين بعـد عودتهم من عملية الاختطاف ٠

قال سائق التاكسى وحبات العـــرق تتألق على جبينه برغم برودة الجو :

ـ اشار لى الرجل الذى كان يرتدى زى شركة الطيران ٠٠ ترددت أول الأمر فى الوقوف لأننى لم أتوقع احـــدا يســـير على قدميه فى تلك المنطقة الصحراوية المهجـورة والمعتمة فى الليل ٠٠ لكننى عدت وتوقفت له ٠٠ لم أسـترح للهجته أو حركاته العصبية ٠٠ وطلب منى الانطلاق إلى مدينة نصر ٠٠ وفى بادىء الأمر نظر خلفه أكثر من مرة ٠٠ فقـد كانت سيارة شرطة فى اعقابنا ٠٠ ثم بدا عليه الارتياح عندما تجاوزتنا ٠٠ وظل ناظرا أمامه دون أن يتبادل معى كلمة واحدة ٠٠ وهو يوجهنى عند تقاطع الطرق والميـــادين إلى ان بلغ منطقة المشروع السويسرى النائية عند أطراف مدينة نصر ٠٠ وعند ثالث شارع على اليمين انحرفنا لنصل حتى نهايته ٠٠ دفع لى مبلغا كبيرا ٠٠ وهبط وهو ينظر حوله ثم دخل فى عمارة مكونة من اربعة أو خمسة طوابق ٠٠ عـدت ادراجى ليركب معى رجـلان انيقان ظـلا يتبادلان الحديث عن الطائرة المخطوفة ، ومنهما علمت بحكاية الغريب الغامض الذى اختطف سيارة شركة الطيران ٠٠ تقريبا فى نفس المكان الذى أشار لى فيه بالوقوف ٠٠ قمت بتوصيل الرجلين ثم أسرعت بعد ذلك إلى المطار دون أن أتوقف لجنس مخلوق !!

صمت السائق ليلتقط انفاسه المبهورة بعد أن

أدلى بكل ما يعرفه ظنا منه أن دوره انتهى عند هذا الحد ، لكنه فوجىء بالعميد عز الدين يستدعى أربعة من رجاله كى يصطحبهم السائق إلى العمارة التى دخلها الغريب الغامض ، وسرعان ما كان منطلقا معهم وإحساس بالأهمية البالغة ينتابه ٠ فقد قيض له القدر دورا لم يخطر بباله ضد أعداء الوطن المتربصين به ٠ وقد ازداد إحساسه المثير هذا عندما وجد سيارة محملة برجال الشرطة السرية تسير فى أعقابهم ضمن الحملة الأمنية ٠ فقد اعتبر نفسه قائدها الوحيد الذى يعرف خط سيرها ٠

بدأ رجال الحملة تحرياتهم بمحاصرة المنزل لكنهم اكتشفوا أن المنزل المجاور هو الذى يحتوى على شقة مفروشة تؤجرها صاحبتها لمن يريد سواء من المصريين أو الأجانب ٠ وعند مداهمة الشقة هرعت صاحبتها التى تقطن الشقة العليا إلى رجال الأمن لتخبرهم بأن رجلين قد استأجراها لمدة شهر ، ويبدو أن بعض الشباب والشابات كانوا يترددون عليها سواء للزيارة أو للإقامة ، ولم يتبق لهم سوى ثلاثة أيام على انتهاء العقد ٠ وعندما سئلت عن العقد قالت إنها لا تكتب عقودا خوفا من الضرائب وخاصة أن الإقبال على الشقق المفروشة لم يعد كما

كان أيام الانفتاح ، كما اعترفت بأنها لم تبلغ قسم الشرطة التابعـــة له بأسمائهم من واقـع جوازات سفرهم ، إذ أن المبلغ الكبير الذى دفعوه لها جعلها تتغاضى عن التحـقق من جنسياتهم وشخصياتهم ، وخاصـة أن الرجلين كانـا يتكلمان اللهجة المصرية كأبنائها ٠

بتفتيش الشقة تأكد رجال الأمن أن المستأجرين قـد غادراها بلا عـودة دون أن يعيـــدا مفتاحهـا لصاحبتها ٠ اسقط فى يدهم بعد أن استحال العثور عليهم ٠ صحيح أن المنافذ البرية والبحرية والجوية كلها تحت الرقابة المشددة ، لكن البحث عنهم بعـد مغادرتهم للشقة سيكون مثل البحث عن إبرة وسط كومة من القش تحت شمس حارقة ٠ أصـدر قائد الحملة أوامره بإعادة التفتيش الدقيق بغية العثـور على أى خيط مهما كان دقيقا فى أى ركن أو زاوية ٠ وقد تدرب على أعقد أساليب دقة الملاحظة على يدى العميد عز الدين ، وها قد آن الأوان لاستخدامها فى سـباق مع الزمن ٠ لفت نظـره نوتة موضوعة تحت أباجورة بجوار أريكة فى الصالون ٠ أضاء الأباجورة وقلب صفحات النوتة فلم يجد فيها كلمة واحدة تدل على أى شىء ٠ ألقى بها فى يأس تحت الأباجورة ٠

لكن عينيه ومضتا فجأة فى ضوئها إذ وجد آثار كتابة من صفحة سابقة مقطوعة ، نتيجة لضغط القلم عليها · وسرعان ما أحضروا قلم رصاص تلبية لأمره ، وبيد خفيفة كالريشة قام بتظليل الجملة المكتوبة بالإنجليزية التى تقول « شارع النهضة ـ الفنار القديم » أما الرقم المكتوب أمام الشارع فلم يكن واضحا وإنما تراوح بين ٦٥ و ٦٩ و ١٥ و ١٩ ·

قلب العقيد النوتة مرة أخـــرى فلم يظفر بشىء آخـر · وحمد الله على هـذه الغنيمة التى سرعان ما أبلغها للعميد عز الدين الذى أيقن فى الحال أن عضوى العصابة يحاولان الهرب من ميناء بورسعيد ، فاتصل بإدارة المباحث التى بدأت تحرياتها وإجراءاتها على الفور · وغادر رجال الحملة الشقة بعد أن تركوا فيها اثنين من رجال الشرطة السرية على سبيل الاحتياط ·

أما فى غرفة العمليات فقد حاول العميد عز الدين الاتصال بالكابتن جلال لعله يحصل منه على ما يطمئن لوعة القلوب الملهوفة سـواء فى مصر أو فى العـالم بأسره ، لكن الجهاز كان يجيب بصـمت كالعـدم · كانت المخـاطر المميتة تحيط بكنز الكنوز من كل جانب : العصابة المسلحة التى تتحكم فى مقدرات

الطائرة ، والوقود الذى ربما نفد قبل الهبـــوط الآمن ، واحتمالات العطل أو العطب نتيجة لصراع مسلح تزداد احتمالات وقوعه مع مرور الثوانى .

تحول القلق إلى بحر متلاطم الأمواج ، حاول العميد عز الدين أن يخرج من بين طياته ، إذ أن القلق رفاهية لا يقدر عليها فى مثل هذه اللحظات ، ومع ذلك لم يسـلم من لطمـات أمواجه ورذاذها المنطلق كالرصاص فى العيون المفتوحة . كانت الثوانى تمر كأقدام من رصاص تغوص فى بحـر من الرمال الناعمة وهاجس مشتعل يلفح عقل العميد عز الدين كقضيب محمى بالنار والجمر :

ـ ماذا لو سقط كنز الكنوز فى أعماق البحر ؟! هل ستكون نهاية العالم أشد وقعا على نفوس البشر من سقوطه المريع ؟!

حـاول طرد الهاجس اللافـح المشتعل بقـــدر طاقته وانهماكه فى متابعة الموقف ، ومـع ذلك لم ينج من لسعاته .

●●●

(٨)

ظل كيمو على وقفته القلقة المتشنجة عند باب كابينة القيادة يتنقل بنظراته الزائغة التى فقدت جزءا من حدتها بين جلال وزكى وبين ركاب المقدمة · كان يود لو افرغ كل رصاص مدفعه فى جسمه ، فقد تحول فى نظره إلى كتلة حية من الشكوك القاتلة المسمومة بأشواكها التى تكاد تغوص فى قلبه ! لكن ما العمل والعين بصيرة واليد قصيرة كما يقول المصريون ؟!

خرج من خواطره ومخاوفه على نبيه وهو ينهض صائحا فى إصرار :

- سأذهب إلى دورة المياه وليكن ما يكون ·· لا توجد قوة فى الوجود تمنعنى من ممارسة هذا الحق !!

سدد كيمو فوهة مدفعه فى صدر نبيه :

ـ لن تغادر مقعدك !!

ازاح نبيه ماسورة المدفع ببساطة مذهلة وهــو يشير بذراعه إلى الممر حيث كان نصر لايزال ممددا عليــه :

ـ إذا كنت تريد أن تقضى علىّ كما قضيت على هذا المسكين فعجل ٠٠ فالحيــاة التى يوجد فيهـــا أمثالكم لا تستحق أن تعاش !!

ـ لن أرد على إهانات حقير مثلك !!

ـ الحقير هو اللص الذى يسرق ما للآخرين جهارا نهــارا !!

ثم أزاح كيمــو من طريقه صــوب دورة الميــاه وسط صيحات كيمو المتشنجة :

ـ ساقتلك ٠٠ ساقتلك !

كانت اصابعه على الزناد متقلصة مرتعشة لكنها لم تضغط عليه ٠ أذهلته جرأة نبيه وهو يدخل دورة الميــاه ويغلق الباب خلفه ، دوت صرخات كيمو :

– إذا تأخرت بالداخل فسأمزق الباب وجسـك بالرصاص !

ينهض توفيق قائلا لجيمى الواقف بالقرب منه :

– وأنا أيضا أريد الذهاب إلى دورة المياه !

هدده جيمى بصفاقة بالغة :

– قديمة ٠٠ العب غيرها ! عندما يخرج من دورة الميـاه ربما سمحت لك !

– وما شأنى به ؟! هو فى دورة المياه الأمامية ٠٠ ودورة المياة الخلفية شاغرة !! وليس لك الحق فى منعى !

وضع جيمى فوهة المدفع فى جنبه الأيسر :

– ليس عنـدى سـوى حديث الرصـاص ٠٠ ما رأيك ؟!

– لم أر جبناء مثلكم ! تخاف من ذهاب رجل اعزل مثلى إلى دورة المياه ومعك مدفع يمكن أن تمزقنى رصاصاته فى لحظة !!

– منظـرك لا يعجبنى ٠٠ وسلوكك مريب ٠٠

إذا كنت قد سئمت الحيــاة وتريد التخلص منهــا فافعل ما يدور فى عقلك !

ابتسم توفيق فى تحد اخترق قلب جيمى :

– يمكنك ان تدخل معى دورة المياة على سبيل الاطمئنان !

– نكتة سخيفة مثل قائلها !!

– توكلنا على الله !

ثم أمسك بماسورة المدفع محتفظا بفوهته على جنبه وتاركا مقعده فى ثبــات قاتل وهو يضـــيف مبتســما :

– ساساعدك فى مهمتك ٠٠ لا تحمل هم تثبيت المدفع ٠٠ هيا بنا ٠٠ قبل أن أتحــول إلى نافورة ستكون أنت أول من تغرقه !!

حاول جيمى أن يعوقه لكنه فشل فى حين فتح نصر عينيه ليتابع أقدام توفيق الراسخة صوب دورة المياه ثم أغلقهما بسرعة ، وكلمات جيمى تفقـــد اتزانهــا :

- لا تستغل كرم أخلاقى أكثر من هذا !

وفى لمح البصر كان توفيق داخل دورة المياه وقد أغلق الباب خلفه فى حين وقف جيمى حارسا عليه وهو يتبادل نظرات حائرة مع نورا • وفجأة تدور معركة رهيبة بين صوتين لرجلين ، أحدهما رفيع وحاد والثانى عريض وأجش داخل دورة المياه مع صوت لكمات وصرخات وتأوهات وضربات تهز الباب بعنف يكاد يخلعه • عندئذ يدق جيمى الباب بعنف ويفرغ فيه عدة رصاصات فيسود الصمت الرهيب بعد صرخات ذبيحة • تستدير العيون الزائغة والأفواه الفارغة صوب الباب الذى طرز نصفه الأعلى بثقوب حارقة وكأنها شدت إليه بأسلاك محماة • يقترب جيمى فى حرص شديد شاهرا مدفعه فإذا بالباب يبدو مواربا بعض الشىء ، فيدخل ماسورة المدفع فى الفتحة ، لكنه فجأة ينجذب بمدفعه وعنقه الذى يغلق عليه الباب مع وابل من الرصاص • يصمت المدفع ويسقط جيمى على الأرض فتهرع إليه نورا فى نفس اللحظة التى يلتقط فيها نصر مسدسه الملقى تحت المقعد وينهض فى أعقابها ليضع فوهته فى ظهرها ، ويأمرها بأن تبتعد عن الباب وتستدير ، فتطيعه فى نفس اللحظة التى يخرج فيها توفيق من دورة المياه حاملا مدفع جيمى الذى يتحامل على نفسه لينهض فإذا بتوفيق يعاجله بضربة خاطفة بكعب المدفع على أم رأسه فيسقط مرة أخرى فاقد الوعى •

يضغط نصر بفوهة المسدس على ظهر نورا طالبا منها تسليم مدفعها ، لكنها تستدير كالبرق صوب توفيق فيعاجلها نصر بضربة على رأسها فتسقط ومعها مدفعها الذى يلتقطه نصر بدلا من مسدسه الصغير الذى وضعه فى جيبه · يتبادل نصر وتوفيق نظرات خاطفة يحمل توفيق على أثرها جيمى ، ونصر نورا ، كدرعين بشريين يحميان به نفسيهما فى المواجهة الرهيبة بينهما وبين كل من كيمو وسونيا اللذين لم يصدقا ما جرى أمام أعينهما ، فى حين كان الكابتن جلال واقفا وراء كيمو وقلبه صلاة خاشعة لذبرة الأبطال المصريين · أما الوفد المسافر فى طائرة الجحيم فقد انتقل إلى مرحلة جديدة من الكابوس الذى لا يريد أن ينقشع بعد أن أوشك على التعود على المرحلة السابقة من بدايات الكابوس ·

صرخ كيمو فى نصر وتوفيق :

– القوا السلاح واتركوا الرهائن وإلا فجرت الطائرة بمن فيها !

ضحك توفيق ضحكة أرادها مدوية لتشجيع الركاب :

ـ أصبحنا متعادلين ٠٠ رهائن من عندكم مقابل رهائن من عندنا !!

تقدم جلال من كيمو بمنتهى الهدوء :

ـ سأذهب إلى دورة المياه للتأكد من أن الثقوب لم تصب جدران الطائرة ٠٠ فالثقوب لن تفرق بيننا وبينكم إذا سقطت الطائرة !

سمع القابعون فى مقاعدهم كلمة « السقوط » من فم الكابتن نفسه ، فشرع بعضهم فى النطق بالشهادتين فى حين واجه كيمو الكابتن بمدفعه :

ـ لن تغادر مكانك ٠٠ عد إلى مقعد القيادة !!

صاح توفيق فى كيمو آمرا إياه :

ـ اترك الكابتن يمارس مسئوليته ٠٠ وإلا افرغت المدفع فى زميلك !

ثم التف بذراعه الحديدية على رقبته حتى كاد أن يخنقه بحيث صاح جيمى بلهجة واهنة مختنقة :

ـ اتركه ٠٠ لا أستطيع أن التقط أنفاسى !

لم ينتظر الكابتن جلال السماح له بل عبر الممر مسرعا إلى دورة المياه الخلفية لمعاينتها ، فى حين اكتشف كيمو أن دورة المياه الأمامية مفتوحة فهرع إليها وكان على وشك أن يطل برأسه داخلها لكن يبدو أنه تذكر ما جرى لجيمى فعاد مسرعا وهــو يأمر الدكتور سالم القريب منه بالتحرى عن نبيه ، لكن الدكتور لم يغادر مقعده وظل على ابتسامته الساخرة التى يمقتها كيمو الذى بلغ به الارتباك حدا أصابه بالعمى الذى أعجـزه عن رؤية نبيـه الجالس خلف الدكتور علم الدين .

حاول جيمى التملص من قبضة توفيق الحديدية لكن ضربة أخرى انهالت على رأسه وقبل أن يسقط أجلسه توفيق على مسند المقعد المجاور واتخذ منه ساترا . وفى الحال قلده نصر إذ أجلس نورا على مسند المقعد المقابل ووقف خلفها بعد أن ضربها على رأسها على سبيل الاحتياط ، فى حين يصيح الدكتور سالم فى سونيا :

ــ ألم أقــل لك .. لا مهــرب من لعنــة الفراعنة ؟! وليس ببعيد أن يظهر الملك توت عنخ آمون تنفيذا للتميمة المصنوعة من الحــديد التى

تقول : « انهض من نومك ·· فسوف تنتصر على كل شىء ·· فالطريق مفتوح أمامك » ·

ـ اخرس !

قالها كيمو ثم ضربه بقبضة يده فى راسه · ومع ذلك استمر الدكتور سالم مستمتعا بالعناد البطولى :

ـ « لقد قضينا على كل اعدائك · كل يد تمسك تنقطع » ··

ـ اخرس !!

ثم ضربة أخرى لكنها فى الكتف هذه المرة ومع ذلك واصل :

ـ « كل أنف يشـك يسقط · كل عين تراك تنطفىء » ··

كان على وشك أن يضربه هذه المرة بكعب المدفع لولا صيحة إنذار من نصر :

ـ ارفع يدك عنـه ·· وإلا قتلتك أنت والكلاب المسعورة التى معـك !

تمالك كيمو اعصابه ولم يرد ، فواصل سالم آخر جملة فى التميمة :

ـ انهض هادئا صاحب الجلالة !

أخرج كيمو من جيبه قنبلة رفع بها يده :

ـ لو استمر الحال على ما هو عليه ٠٠ فأنتم الجناة ٠٠ علىّ وعلى أعدائى !

فى بداية الكابوس خيل لبعض الركاب أن يقبلوا أيدى المختطفين او حتى أقدامهم كى يطلقوا سراحهم مقابل الاستيلاء على كنوز توت عنخ آمون ٠٠ فيا روح ما بعدك روح ! لكن فروسية الكابتن جلال ، وسخرية الدكتور سالم ، وبطولة توفيق ونصر اثبتت لهم عمليا ان المسألة ليست مجرد مبادلة أرواح بكنوز ، بل مسألة اقدار ومصائر ، والصمود والتحدى ٠ فقد يرى المجرم فى النهاية بعد انتصاره الساحق على رهائنه المستسلمين له تماما أنهم قد يصبحون شهود عيان عليه فيما بعد ، فما المانع من حصد أرواحهم ؟! والجريمة الكاملة خير من الجريمة الناقصة ! ومن يخطو على طريق الجريمة لا يجد غضاضة فى الاستمرار حتى نهايته ! وغالبا ما يكون استجداء المجرم عبثا

وإذلالا لا طائل من ورائه ! ولذلك لم تعد القضـية مجرد إنقـاذ كنوز توت عنخ آمون بل إنقـاذ للحياة الكريمة نفسها !

مالت مها على سمير وقد استعادت نبراتها بعض ثباتها :

ـ لو نجـوت من هذه المحنة ‥ فإن نظـرتى للحياة ستتغير تماما ‥ أشعر الآن أننى أنصهر فى بوتقة يمكن أن أخرج منها امرأة جديدة تماما !

ربت سمير على يدها فى أخوة حانية :

ـ بإذن الله ‥ بإذن الله ‥ وأنا اعتدت الموقف وعلى وشك أن أتخلص من الرعب لتحل محله رغبة حارقة فى تصوير ما يجرى ! سأصبح بعد ذلك مصورا عالميـا !

خرج الكابتن جلال من دورة المياه الخلفية وطوى الممر متجهما ، والأسئلة الملهوفة تحاصره من المقاعد على الجانبين ، لكنه بلغ مقعد نبيه ووضع يده على كتفه وضغط بأصابعه كما لو كان يخاطبه بإشارات معينة قائلا للركاب :

ـ ساحكى لكم كل شيء فى الميكروفون !

ثم استدار ليدخل الكابينة وهو يبعد ماسورة مدفع كيمو عن كتفه باحتقار شديد قائلا :

ـ لن تفلت من العقاب ٠٠ ستدفع الثمن حالا !!

سمع نبيه كلمات جلال ، وقبل أن يفتح كيمو فمه بكلمة كان جلال قد دخل الكابينة وفتح الميكروفون :

ـ نحن نمر بلحظات نحتاج فيها إلى كل طاقة فى تفكيرنا وكل قوة فى أعصابنا ٠٠ وأعتقد أننا استوعبنا الموقف أفضل من ذى قبل ٠٠ هناك ثقبان صغيران فى جدار الطائرة سيتولى مهندس الطائرة محاولة سدهما حتى لا يتسرب منهما الهواء خارج الطائرة ونصاب جميعا بالاختناق ٠٠ ولكن إذا فشلت المحاولة أو إذا تسبب المختطفون فى ثقوب أخرى تزيد من تدفق الهواء ٠٠ فسنضطر إلى الهبوط إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر حتى يمكنكم التنفس ٠٠ لكن خطورة هذا الإجراء أن سرعة الطائرة ستقل نتيجة ضغط الهواء المتزايد مما يسبب استهلاكا أعلى للوقود ٠٠ والوقود الموجود يكاد يكفى بالكاد بلوغ المطار الذى حدده المختطفون والذى أرجو أن نصله فى نصف ساعة من الآن ٠٠

كاد الشك فى نوايا جلال أن يقتل كيمو الذى وقف على باب الكابينة وعيناه على اللوحات والمفاتيح والأزرار المضيئة التى بدت كالألغاز أو الطلاسم وهو يلعن جهله الفاضح بأبجديات الطيران ٠ لكنه قرر أن يستخدم دهاء رجل العصابات مادام لا يملك معرفة الخبير ٠ رسم ابتسامة على وجهه الذى استحالت حمرته إلى صفرة ، وتساءل وهو يرخى ماسورة مدفعه خلف مقعد جلال :

– الآن فقط اعترف بعجزى ٠٠ فقد تأكدت أنك خدعتنى وغيرت مسار الطائرة !

التفت إليه جلال فوجده مسلطا عينيه على اللوحات والمفاتيح والأزرار وكأنه يقرؤها ويتأملها ويفحصها جيدا ٠ فتساءل جلال بدوره ونظرة متسائلة منه تكاد تغرق كيمو :

– ولماذا لم تستطع أن تعرف الاتجاه من قبل ؟!

– كنت واثقا فى كلامك ٠٠ أما الآن فقد أكدت الأجهزة عكس ما قلته تماما !!

– وما الذى تؤكده الأجهزة الآن ؟!

ـ تؤكد أنك عائد إلى القاهرة !!

قالها كيمو وهو على نار لمعرفة وقع كلماته على وجه جلال الذى لم يفصح عن شىء وإنما قال بنفس الهدوء القاتل :

ـ إذا كنت متأكدا من معلوماتك ·· فلتتفضل انت بقيادة الطائرة وتوجيهها كما تريد ·· فأنا لست طيارا تحت التمرين حتى أتلقى تعليمات من مدربى !!

نهض جلال من مقعده فأسرع كيمو بوضع فوهة المدفع فى كتفه :

ـ اجلس ·· ونفذ أوامرى ·· لقد صبرت عليك طويلا ·· لكن صبرى قد نفد ·· وليذهب الكنز كله إلى الجحيم ومعه الطائرة إذا تلاعب بى واحد مثلك !

جلس جلال مرة أخرى وقد كتف ذراعيه على صدره :

ـ فى انتظار أوامر السيادة !!

ـ غيّر المســار وعــد إلى الجــزيرة التى حددتها لك !

ـ سأنفذ طلبك ٠٠ لكنك بهذا ستعود بنا فعلا إلى القاهرة ٠٠ كما أن الوقود لا يكفى ٠٠ وحالة الطائرة غير مطمئنة بعد الثقوب التى تسببتم فيها !

صرخ كيمو وهو يضغط بفوهة مدفعه بجنـون فى كتف جـلال :

ـ افعـل كما أمرتك ٠٠ لن أتناقش معك أكثر من هـذا !

نظر جلال نظرات ذات معنى إلى زكى ثم مد يده وأدار مفتاحا أمامه فتحولت الطائرة إلى قطعـة من الظلام الحالك والصرخات المســعورة والضربات الطائشة وصوت سونيا يعـلو وسط الأصوات المتداخلة المتصاعدة :

ـ ما هذه الأضواء الشاحبة الزرقاء والصفراء ؟! إنه الملك توت عنخ آمون يسير فى الممــر كأنه فى موكب ٠٠ خرج من التابوت ليقضى علينـا !!

وتحولت الصرخات المسعورة إلى طلقات رصاص

كانت تومض وتمرق بأزيزها بين العيون الجاحظة والوجوه الكالحة ثم تستقر مكتومة أو معها صرخة ذبيحة جريحة • وبعد لحظات سكنت الطلقات لتعلو الصرخات والآهات والأنات والشهقات والتضرعات التى تطلب رحمة الله لهؤلاء الأشباح الواقعين فى أعماق هذا الجحيم المعلق بين السماء والأرض ، وتلاوة الشهادتين ، ونداءات بعض الركاب على الأبناء والزوجات والإخوة بأسمائهم كأنهم يرونهم مرأى العين برغم طيات الظلام السوداء المتكاثفة !

أضيئت الأنوار مرة أخرى لكن الطائرة دخلت فى اهتزازات وارتعاشات غريبة تختلف عن المطبات الهوائية • لكن كيمو وسونيا تلاشيا ، ودارت العيون الجاحظة الدامعة الملتهبة لرصد ما جرى وسط الأنات والتاوهات والتوجعات التى تداخلت لتكوّن لحناً جنائزياً مريعاً • كان جلال مصابا برصاصة فى ذراعه اليمنى والدماء تغرق سترته لكنه ظل على إدارته للمقود ، فى حين كان نبيه مصابا بضربة فى رأسه مزجت شعره بالدماء اللزجة الساخنة التى أوشكت على إغلاق عينه اليسرى لكنه حمد الله على أنها مجرد ضربة سطحية بشىء صلب وليست رصاصة استقرت فى تلافيف مخه • أما كيمو فكان مصابا فى صدره ، وسونيا مصابة فى رأسها وقد ارتميا على الممر

خلف باب الكابينة فاقدى الوعى تماما وإلى جوار كيمو مدفعه اما سونيا فكانت تحتضن مدفعها وبقايا هلع فى عينيها المفتوحتين وشفتيها المنفرجتين ٠

اما جيمى ونورا فقد سقطا خلف مقعدين وأسرع كل من نصر ونبيــه بتقييدهما بحبـــال أحضرها مهندس الطائرة التى أوشكت أن تتحول إلى ريشة فى مهب الرياح ٠ فقد تضاعف عدد الثقوب التى لم يتمكن المهندس من حصرها كلها ، ومع ذلك أسرع لسدها ببعض العجائن التى سرعان ما كانت تشفط إلى الخارج ، فهرع إلى الكابتن ليذهل لمنظر الدماء على ذراعه اليمنى وسترته ، ومع ذلك تحامل على نفسه وقال له بصوت خافت وكلمات مبحوحة :

ــ اعتن أنت بالثقوب وأرسل لى من يربط لى ذراعى ٠٠ هانت ٠٠ لم يتبق سوى ربع ساعة وندخل المجال الجوى المصرى !!

انطلق المهندس ليعلن الركاب بإصابة الكابتن فى ذراعه وحاجته لضمادات ٠ فى الحال نهضت مهــا لأول مرة منذ أن ركبت الطائرة وخلعت غطاء وسادة كانت تخفى وجهها فيها وانطلقت إلى الكابينة حيث مزقت الغطاء إلى شرائح وأربطة ، ثم أسرعت إلى

دورة المياه لتحضر كوب ماء غسلت به الدماء اللزجة التى لم تزل تحتفظ بسخونتها ، وأخرجت زجاجة عطر من حقيبة يدها لتصبها على الثقب الذى أحدثته الرصاصة فى الذراع فتأوه الكابتن لكنه واصل تماسكه ومها تداعبه :

ـ كما يحدث فى الأفلام الأمريكية تماما !

ابتسم الكابتن ابتسامة واهنة وقد ترك ذراعه لها وهى تلف حولها الضمادات بأصابع من حديد لا يمكن أن تتأتى لأنثى رقيقة مثلها فى حين أعلن فى الميكروفون بنبرات حرص على علوها برغم ارتعاشها :

ـ الحمد لله ٠٠ لقد مرت المحنة ٠٠ لكننى مضطر الآن إلى الهبوط إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر قبل أن يتعذر علينا التنفس ويختل الضغط داخل الطائرة ٠٠ أرجو ربط الأحزمة !

وشرعت الطائرة فى الهبوط إلى هذا الارتفاع المنخفض وزكى يقول لجلال ونظراته ملهوفة على مؤشر الوقود :

ـ أرجو أن يكفينا الوقود !

نظر جلال إلى مها وعلى وجهه بعض الارتياح بالضمادات القوية التى أوقفت النزيف والتى خفضت من ألم السكين المحماة فى ذراعه :

– شكرا .. هذا أفضل بكثير !

ثم استدار لمساعده قائلا فى محاولة لقهـر الألم :

– الوقود يجعل الطائرة قنبلة .. وإذا نفد قبل الهبـوط فى المطـــار فسنهبط على بطنها فى رمال الصحراء !

كانت مها سعيدة وهى تتابع الكابتن ، بل إن الرعب هجر قلبها برغم الخطورة البالغة للموقف . سألته باسمة :

– كيف يمكنك الاحتفاظ بأعصابك هادئة هكذا وسط الجحـيم ؟!

تساءل مبتسما برغم ألمـه :

– تصورى طيارا يعجز عن الاحتفاظ بأعصـابه هادئة وقت الشدة ! كما أننى متفائل جدا .. والله

الذى نجـــانا من هذه الكلاب المسـعورة قادر على توصيلنا بسلام إلى أرض الوطن !

اجتاحت مها رغبة عارمة فى أن تنهـــال على الكابتن جلال بالقبلات لكنها كبتتها داخل وجدانها المشتعل · وبرغم ارتعاشات الطائرة التى أحـدثت ازيزا فى جدرانها وجناحيها ، وخط الهواء المتزايد فى تدفقه من ثقب فى النافذة اليسرى فى كابينة القيادة مع هبوط الطائرة ، فإن مها شعرت وهى بجـوار الكابتن جلال انها تستند إلى جبل راسخ ، وفكرة الخبطة الصحفية المذهلة تراودها بالأمل المتدفق .

ظلت الأحزمة مربوطة والألسنة تلهج بالدعاء . لكن الدكتور علم الدين اكتشف فجأة أن الدكتور رشاد الذى بدا مستغرقا فى النوم ، لم يربط الحزام ، وقد نسى أن يربطه له نظرا للأزمة القلبية التى مر بها . مال عليه وربط حزامه لكنه وجده مستغرقا فى نوم ثقيل هادىء لا يتناسب مع الكابوس الذى مروا بـه منذ لحظات · أمسك يده فوجدها باردة فى ذلك الجو المحموم إذ أن حبات العرق كانت تتألق على بعض الجباه · جس نبضه فتأكد أن زميل عمره قد رحـل تحت ضغط ذلك الجحيم الحارق · وقبل أن يلتفت

إلى الدكتور سالم وجده يقول له فى قمة الأسى والمرارة :

ـ هذا ما كنت أخشاه !

ـ هل نبلغ الكابتن ؟!

ـ تكفيه المحنة التى يمر بها ! كان الله فى عونه !

كان الكابتن جلال على اتصال بالقاهرة للتشاور حول أفضل الحلول الممكنة للمشكلات التى وضعت الطائرة على كف القدر • كان الرعب الأكبر الذى واجهه قد تجسد فى عداد الوقود الذى أصبحت حركة مؤشره تفصل بين الحياة والموت ، بين الهبوط الآمن والسقوط المدوى المتوهج المتفجر • وكانت الفكرة التى صرح بها لمساعده حول الهبوط ببطن الطائرة على رمال الصحراء فكرة مجنونة من وحى لحظة الانفعال الجياش • فالصحراء محيط من الظلام الحالك الذى يخفى تلاله الحجرية ونتوءاته الصخرية ورماله الناعمة ووهاده النائمة بين المرتفعات ، وإذا اضطر إلى الهبوط عليها فسيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار • لكن ما العمل وقد بلغ مؤشر العداد الشرطة التى يضىء عندها اللون الأحمر الذى يعنى أن الوقود المتبقى لا يكفى أكثر من خمس دقائق من

الطيران المرعب ، أى تكون الطائرة قد أخذت وضع الهبوط على الممر ؟!

فجاة تذكر سمير أنه مصور تليفزيونى يملك كاميرا يمكنه بها تصوير فيلم عالمى . أخرجها من مكمنها تحت المقعد ليدور بها على الوجوه والعيون التى تومض بملايين الهواجس والخواطر والمخاوف والآمال والآلام فى لحظات قادمة ستمر كسنوات طويلة مرعبة .

لم يفتح الكابتن فمه بعد أن تحدث إلى الركاب عن اضطراره للهبوط إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر بسبب الثقوب ، ولم يعد التنفس على مايرام ، واهتزازات الطائرة وارتعاشاتها تزداد وعورة ، فهل اقتصرت المتاعب على ذلك أم أن هناك مشكلات مصيرية تواجه الكابتن جلال ولا يريد الإفصاح عنها حتى لا يصاب الركاب بالجنون وبعضهم على حافته . لقد تسبب الهلع والشرود فى أن ينسى سمير فرصة عمره - إذا كتب له هذا العمر - ولم يتذكر الكاميرا والفيلم الموعود إلا بعد أن استجمع أفكاره . وهاهو الآن يصور ما جرى ، وها هى مها تلحق به ومعها جهاز تسجيل صغير تحاول به أن تلتقط كل ما تجود به ألسنة الحاضرين التى تشابهت فى الآمال والآلام .

ـ كل ما اتمناه أن ينقشع هذا الكابوس لأجد نفسى فى فراشى ·· فى بيتى ·· مع زوجتى وأبنائى ··

ـ أنا واثق من رحمة الله ·· طول عمرى متفائل وسترون !

اهتزاز الطائرة لا يطمئن أبدا ·· ربنا يستر ·· لن أركب طائرة مرة أخرى ·· العمر ليس بعزقة !!

ـ إنها لعنة الفراعنة حلت بنا جميعا ·· كم قلنا إن سفر كنوزنا وآثارنا إلى الخارج اهانة لمصر كلها ·· لكن لا حياة لمن تنادى ·· وها هى النتيجة ·· أصبحت كنوز توت عنخ آمون على كف عفريت !!

ـ هناك قوى تتربص بكل الأشياء الثمينة والعريقة التى نملكها ·· كنوزنا وآثارنا وقيمنا وأخلاقنا وتراثنا ·· ونحن لانزال نتصرف إما بحسن نية أو بجهل أو بعقد نقص !! لن يزداد توت عنخ آمون شرفا وشهرة إذا شاهده الأجانب فى بلادهم !

ـ كانت وظيفتنا تقتصر على إجراءات نقل الكنوز فى الصناديق من المتحف المصرى بالقاهرة إلى قاعة العرض فى باريس ·· أما عمليات الحراسة

والأمن فليست من اختصاصنا ٠٠ عموما فنحن فى اشد الأسف مما جرى ٠٠ وأنا شخصيا لن اشارك مرة اخرى فى نقل الكنوز الفرعونية إلى أى بلد آخر ٠٠ وربما عدت إلى مدينتى مارسيليا لفتح محل بيع الأنتيكات الذى حلمت به طويلا ٠٠ هذا إذا وصلنا سالمين !

– ما يجرى الآن فيلم مرعب يعجز هيتشكوك عن إخراجه ٠٠ أنا شخصيا لا أصدق حتى الآن أننى مررت فعلا به !

– كل ما اتمناه أن نصل بسلام إلى أرض الوطن ٠٠ يا روح ما بعدك روح !! ثانية أو لحظة واحدة قد تفرق بين الحياة والموت !

وعندما وصلت مها إلى كل من جيمى ونورا المقيدين بالحبال تحت حراسة نصر وتوفيق فى محاولة لمعرفة الجهة أو التنظيم أو العصابة التى دفعت بهم لارتكاب مثل هذه الجريمة ، التزما الصمت واكتفيا ببعض النظرات الحارقة برغم عيونهما الخابية ، بل إن جيمى حاول أن يركل بقدميه المقيدتين الكاميرا فى أثناء تصوير سمير لهما بكل أنواع اللقطات الشاملة والتفصيلية ، وذلك بعد أن فشل فى إخفاء وجهه بيديه المربوطتين خلف ظهره !

فجاة وسط كل هذا الخـوف والرعب والياس واللهفة والضيق ، تفجرت الطائرة بالتصفيق وصيحات الفرحة والتهليل برغم الاهتزازات المتزايدة وفحيح الهواء المتدفق من بعض الثقوب التى عجز مهندس الطائرة عن سدها · كانت اضواء القاهرة تتناثر فى نعاس كحبات اللؤلؤ على جسد سمراء فاتنة استرخت على ضفاف النيـــل ، وأحيانا كانت تومض بشرر الماس كلما ضاعفت الطائرة من هبوطها · شـــدت العيون بأسلاك سحرية إلى تلك الأضواء وسرى فيها إحساس دافىء بالأمن والطمأنينة ، وكأن مجـــرد رؤيتها عبر النوافذ هو نوع من الهبوط الآمن على أرض الوطن !

لكن الفرحة السارية بين المقاعد توقفت عند باب كابينة القيادة · فقد رأى الكابتن جلال لأول مرة فى حياته بعد ثلاث وعشرين سنة من قيادة الطائرات ، عداد الوقود وقد أضاء علامته الحمـراء · أى ان أمامه خمس دقائق فقط وتسقط الطائرة · لم يعـد خائفا الآن على كنوز الملك توت فهى على الأقـل تطير فوق أرض الوطن فى داخل صناديق محصنة ضـد الحريق والتحطيم والتدمير ، ويمكن جمعها سليمة إذا سقطت الطائرة لا قدر الله · لكن المشكلة

المأسوية الحقيقية تتمثل فى كيفية إنقاذ الأرواح المعلقة بمصير الطائرة ، وفى الوقت نفسه إنقاذ قلب القاهرة من سقوط الطائرة التى تهيم فوقه الآن على ارتفاع منخفض للغاية ٠ قد يساعد نفاد الوقود على تجنب إشعال حرائق كثيرة ، لكن يظل سقوطها على قلب القاهرة محنة يجب تجنبها بأى ثمن حتى ولو تم اختيار منطقة واسعة من النيل لسقوطها !

لم يتبق من الزمن سوى خمس دقائق ، فى حين أن المسافة إلى بداية ممر الهبوط لا تقل بأية حال من الأحوال عن عشر دقائق ، إن لم تزد ٠ فما القرار الذى يمكن أن يتخذه فى تلك اللحظات المحمومة ؟! إن لحظة واحدة يمكن أن تفرق بين الحياة والموت ! فكم لحظة توجد فى تلك الدقائق الخمس ؟! إنها يمكن أن تمر – لو مرت – كدهر بأكمله !! فلتكن إرادة الله فوق إرادة البشر التى تصل إلى حدودها ثم تتلاشى تماما ! لم يعد الأمر فى حاجة إلى قرار بقدر حاجته إلى معجزة ، فهل يمكن أن تحدث المعجزة ؟! عقل الكابتن جلال تحول إلى جمرة مشتعلة من التساؤلات والصلوات والنظرات المسلطة على المؤشر الذى فارق العلامة الحمراء نحو الصفر !

●●●

(٩)

برغم إعلان حالة الطوارىء فى مطار القاهرة الدولى ، فإن الصحفيين والمراسلين والمصورين ومندوبى الصحف ووكالات الانباء ضربوا حصارا حول المبنى والمنافذ لعلهم يلتقطون تصريحا أو كلمة أو خبرا أو صورة . تركزت كل عيون العالم على المطار الذى أخليت ساحته من الطائرات التى انتحت جانبا ، ومنع فيه الهبوط أو الانطلاق منه . وتراصت عربات الإسعاف والاطفاء على أهبة الاستعداد . كما ضرب رجال الأمن حصارا حول غرفة العمليات التى انتقل إليها وزراء الداخلية والثقافة والطيران حتى يكونوا على اتصال مباشر بمجريات الأمور لحظة بلحظة .

كان برج المراقبة وغرفة العمليات على اتصال محموم بالطائرة التى بدت أخيرا للعين المجردة ، ولم يتبق للجميع أمل فى حالة نفاد الوقود قبل الهبوط سوى وجود ضغط الهواء فى خزانات الوقود والذى يمكن أن يكفى الطائرة المدة الباقية حتى الهبوط الآمن . وكان يمكن للطائرة أن تهبط فى

مطار أقرب من مطار القاهرة تجنبا لأزمة الوقود ؛ لكن الظروف المأسوية التى مرت بها ، وإصابة الكابتن جلال فى ذراعه اليمنى ، وقعت فى وقت تساوت فيه المسافة بين الطائرة ومطار القاهرة وبين أقرب مطار مصرى آخر ! ولذلك كان من الأفضل التوجه إلى مطار القاهرة نظرا للإمكانات الضخمة التى يتمتع بها فى حالة الطوارىء .

لكن التوتر المحموم بين المسئولين لم ينتقل إلى الجماهير التى توافدت على المطار لتملأ الشرفة الطويلة والكافيتريا ، فقد ظل احتمال نفاد الوقود قبل الهبوط سرا بين المسئولين سواء على الطائرة أو فى برج المراقبة أو فى غرفة العمليات . بل إن احتدام الأزمة وبلوغها هذه الذروة جعل الاتصال بين الطائرة والمطار من قبيل لغو الكلام ، فكل الإمكانات جاهزة ومستعدة للإنقاذ عند الهبوط الاضطرارى للطائرة ، لكن هل تستطيع بلوغ ممر الهبوط ؟!

سؤال محير ومحموم وقاتل لكنه لم يكن على بال طاقم المضيفين هشام وطارق وعزة الذين جلسوا فى الكافيتريا يتحرقون شوقا لرؤية الطاقم المزيف الذى يشبههم تماما . لكن القلق كان ينهش أقارب وزوجات وأبناء ضباط المباحث نبيه وتوفيق ونصر ،

والكابتن جلال ومساعده زكى ، وعلماء الآثار سالم وعلم الدين ورشاد الذى جاءت زوجته فى هلع وقلبها يكاد يتوقف من الانقباض لإدراكها حالة قلب زوجها الذى يصعب عليه تحمل محنة كهذه !

كان البيان الذى صدر عن غرفة العمليات وأذيع على العالم أجمع مختصرا وموجزا للغاية :

– تمكن رجال الأمن القائمون على حراسة طائرة كنوز الملك توت عنخ آمون من السيطرة على الموقف والقبض على المختطفين ، وكان الكابتن جلال قائد الطائرة قد تمكن من خداع المختطفين ونجح فى تغيير مسار الطائرة ليعود بها إلى القاهرة مرة أخـرى . ورد الله كيد الأعداء إلى نحورهم والطائرة الآن فى طريقها إلى قواعدها سالمة بإذن الله ، كما تم القبض على عضوين من العصابة وهما يحاولان الهـرب من ميناء بورسعيد وجارى التحقيق معهما .

لكن القلق صال وجال فى نفوس الزوجات والأبناء والأقارب إذ لا يعقل أن يكون القبض على العصابة قد تم كما لو كانت مجموعة من الدجاج سقطت عليها الأيدى لتلقى بها فى القفص وانتهى الأمر ! عصابة مثل هذه لابد أن تكون عصابة دولية مدربة تدريبا خطيرا

ومسلحة تسليحا حديثا حتى تقبل على عملية مثل هذه ! حاول الأقارب الاقتراب من غرفة العمليات للاطمئنان على ذويهم لكن رجال الأمن المحيطين بالغرفة الزجاجية منعوهم مع كلمات عابرة لطمأنتهم. فلم يجدوا سوى أجهزة الترانزستور يضعونها على آذانهم لعل انباء قادمة يمكن أن تسكب قطرات ماء مثلجة على جمرات النار المتأججة داخل عقولهم ونفوسهم .

شوهدت الطائرة أخيرا وهى تحوم من مسافة لا يمكن تقديرها على وجه الدقة فى حين لم يتناسب أزيز محركها مع درجة اقترابها . بدت نوافذها ثقوبا مضيئة وكأنها معلقة فى الهواء دون حركة . وبرغم ازدحام الشرفة وصالات المطار فقد تلاشى الضجيج وكأنه مشهد من مشاهد السينما الصامتة . شدت كل العيون والقلوب إلى الطائرة وهى تهبط على مقدمتها لكنها لم تلامس بداية الممر إلى أن اعتدلت مرة أخرى فى توازيها فوقه لتلمسه عجلاتها ثم تصعد قليلا ثم تعود هذه المرة للجرى عليه ، وتواصل الانطلاق حتى منحنى الممر الذى يؤدى بها بعد ذلك إلى ساحة المطار ، لكنها توقفت عند المنحنى وكأنها فقدت القدرة تماما عن الحركة . أطفأت كشافاتها ثم أضاءتها مرتين فأدرك مراقبو

المطار أنها لن تتحرك فانطلقت إليها سيارات الإسعاف والإطفاء فى حين لمعت ومضات آلات التصوير من الشرفة إذ أنه لم يكن قد سمح بعد للمصورين والمراسلين الاقتراب من الطائرة !

انطلقت سيارات سوداء تقل وزير الداخلية والثقافة والطيران وكبار رجال الأمن وفى مقدمتهم العميد عز الدين إلى الطائرة التى صعدوا إليها على السلم المتحرك الذى التصق بعتبة الباب الذى فتحه المهندس لهم . أسرع وزير الطيران إلى الكابتن جلال الذى كان يغالب الإعياء والاغماء وهو يقول بكلمات متقطعة :

ـ الحمد لله .. الحمد لله .. معجزة !

قالها وعيناه متشبثتان بمؤشر عداد الوقود الذى سكن عند الصفر ، ثم ارتمى على مسند مقعده فاقدا الوعى فى الوقت الذى انتشر فيه رجال الإسعاف فى الطائرة بنقالاتهم التى حملوا عليها الكابتن جلال والعقيد نبيه الذى ظل يعانى من إصابة رأسه ، ثم الدكتور رشاد الذى غطوا جثمانه بملاءة بيضاء ، ثم كيمو وسونيا . أما رجال الأمن فوضعوا القيود الحديدية فى يدى كل من جيمى ونورا اللذين حاولا

إخفاء وجهيهما بأيديهما • أما اللقاء بين عز الدين وكل من توفيق ونصر فكان عاصفا بالأحضان والقبلات ، ثم هرع عز الدين فى سيارة الإسعاف التى أقلت زميله نبيه كى يطمئن عليه بنفسه •

عادت سيارات موكب الجرحى والمصابين لتغادر المطار من بوابة بعيدة عن المصورين والمراسلين والمستقبلين الذين انطلقوا كأمواج البحر إلى الشارع خارج المطار لمعرفة آخر الأنباء • ولم يتمكن سوى المصورين من التقاط بعض الصور الخاطفة ، إذ أن السيارات انطلقت بأبواقها التى تصم الآذان لتخترق هذا العباب من البشر • وحاول البعض اللحاق بها بسياراتهم لكنها كانت أسبق فى شوارع القاهرة التى خلت تقريبا بعد انتصاف تلك الليلة الباردة •

كذلك لم يسمح لأحد من ركاب الطائرة الأصحاء الاتصال بالمراسلين أو حتى بالأقارب ، إذ تم نقلهم بحافلات خاصة إلى فندق بجوار المطار أعد خصيصا لهذا بعد أن منعت قوات الأمن اقتراب أحد من الفندق • ثم قام مسئولو الأمن بطمأنة الأقارب والعائلات التى ستلتقى بذويها من ركاب الطائرة بعد إتمام كل التحريات والتحقيقات اللازمة حتى لا تتناثر المعلومات ويصيبها التشويه والتشويش من جراء تناقلها بطريقة عشوائية • فقد حرصت السلطات

على الإلمــام بكل جـوانب الجريمة وتحليـــل كل جزئياتها بأسرع ما يمكن حتى تخـرج على الرأى العـام العــالمى ببيان شامل وتفصيلى يشفى غليله ٠ كانت عيون العـــالم كلها مفتوحة على القاهرة ، وكان لوصول طائرة الملك توت عنخ آمون سالمة إلى أرض وطنه فرحة مدوية فى العالم أجمع ، لكن العالم ظل يتحرق شوقا لمعرفة أسباب ما جرى وتفاصيله ونتائجه ٠

ومع أول ضوء للفجر كانت صناديق كنوز الملك توت قد تربعت داخل العربات المصفحة التى أسرعت بها فى موكب مهيب إلى مقرها بالمتحف المصرى قبل أن تضج شوارع القاهرة بالحركة والزحام ٠ ومع ذلك كانت جموع الصحفيين والمراسلين تحيط بالمتحف ترقبا للحظة وصول موكب الملك ٠

ومع إشراقة الصباح الجـــديد كانت السيارات المصفحة تدلف من بوابة المتحف الحديدية ليتم نقل الصناديق إلى حيث تفتح ٠ ويتم إخراج الكنوز منها كى تستقر مرة أخرى فى بيتها ٠ وكانت فرحة العمال لا تقدر وهم يحملون الصناديق إلى أماكنها داخـل المتحف ٠ قال أحدهم وهو يدير مقود الترولل صوب القاعة التى سيتم فيها فتح الصندوق الكبير :

– من فات داره ·· اتقل مقداره !

أما التماثيل الشامخة المتراصة على جوانب ممرات المتحف التى أضيئت كلها والتى مرت الصناديق ببعضها فبدت وكأنها مبتسمة ، مبتهجة ، على وشك احتضان كنوز الملك التى عادت سالمة ، آمنة برغم المحنة التى مرت بها · ما أبعد الليلة عن البارحة ، بل وما أبعد هذا الصباح المشرق ، الدافىء ، الصافى عن فجر الرحيل بعتمته الكئيبة وعاصفته الترابية !! لقد افترش الضياء الذهبى ميدان التحرير ، وامتزج بنسمة الصباح المنعشة التى داعبت الوجوه والعيون فى خفة ورقة ، بعد أن انقشعت غلالات الضباب الأبيض الشفاف الذى أحاط بالمبنى العتيد العريق للمتحف المصرى الذى يتشرف بإقامة ملوك مصر العظماء فى رحابه ، فإذا كانت القرون قد باعدت بينهم وبين أسراتهم الحاكمة ، فقد تجمعوا أخيرا فى هذا القصر ليستقبلوا الرعايا الوافدين إليهم من كل أنحاء العالم مقدمين كل مراسم الاحترام والتبجيل لصانعى الحضارة الأم لكل البشر عبر العصور ···

– تمت –

●●●

رقم الايداع ٧٨١٤ لسنة ١٩٩٢

مطابع سجل العرب